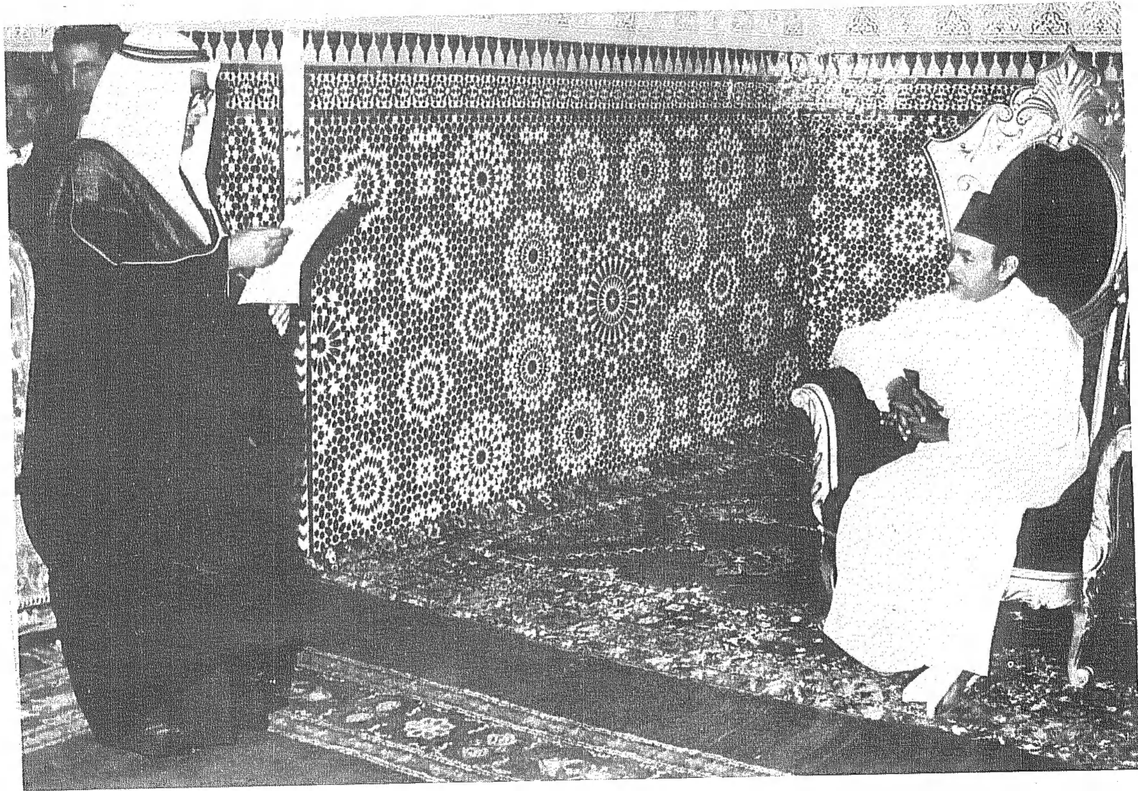
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثالثة ● العدد الثاني والثلاثون ● غرة شعبان ١٣٨٧ هـ ـ ٣ نوفمبر ١٩٦٧ م





سعادة السيد عيسى العبد اللطيف العبد الجليل سفير دولة الكويت يقدم أوراق اعتماده للعاهل المغربى .

اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

المسجد الحزين



ينتظر قائدا وجيشا كصلاح الدين وجيوشه . في الرابع من شعبان سنة ٥٨٣ هـ أكتوبر ١١٨٧ م صل صلاح الدين والمسلمون أول جمعة في بيت المقدس بعد تطهيره من أيدي الصليبيين . .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثاني والثلاثون

ـ السنة الثالثة ـ

غرة شعبان سنة ١٣٨٧ هـ

٣ نوفمبر ١٩٦٧ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار

في الخليج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترليني)

أما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨

الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

آيات من آيات الله البينات كانت مما عالج به القرآن الكريم حالة مرت بالمسلمين كثيرة الشبه بما يمر بنا الآن ، يقول الله تعالى :

« وكاين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين . وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين » .

صور الله في هذه الآيات حال المؤمن بربه ، وشانه في قتاله عدوه ، لحماية الحق الذى يؤمن به ، ويتخذه نهجا له فى حياته. ليذكر بها المسلمين الذين اصابت نفوسهم مرارة الهزيمة فى احد ، وهزتها الاشاعة التى اطلقت يومذاك ، بان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل..

ومع ان هزيمة المدافعين عن الحق امام الباطل تتضاعف مرارتها على النفوس ، ومع أن تعلق الصحابة بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وحبهم له ، وتفانيهم فيه ، أمر طبيعي ، وممدوح من الله ، واشاعة قتله — بالتالي — لا بد أن يكون لها آثارها فى نفوس المؤمنين ، الا ان الله سبحانه — مع كل ذلك — لم يرض من المؤمنين وهم يجابهون عدوا ضاريا ان تلم بهم حالة ضعف ، بسبب ذلك ، او ان تنال منهم الحوادث ، فتفقدهم توازنهم ، وتجعل من السهل لعدوهم ان يجتاحهم ،ويضاعف هزيمته لهم ،ويستاصل الحق الممثل فى وجودهم ،المرفوع اللواء بايديهم وكواهلهم .

ومع ان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى هداهم للحق ، وغرسه كالشعلة الملتهبة المضيئة فى قلوبهم ، الا ان الله سبحانه لم يرض منهم ان يكون دفاعهم عما آمنوا به ، ووهبوا حياتهم له ، معلقا على شخصيته ، ووجوده حيا بينهم .. بل وجههم الى أن يكون ثباتهم على الايمان ، وجهادهم من اجله ، نابعا من ايمانهم الخالص بالله .. ليس مرتكنا على وجود شخص ، ولو كان الرسول ، ولا متوقفا على ظروف . بل يكون اندفاعهم ذاتيا ، وجهادهم ربانيا .. ولهذا لم يرض منهم الحالة التي المت بهم حين انهزموا ، وحين اثرت الاشاعة فيهم حتى

قال قائلهم : ما نعمل بعد موت الرسول ؟ فقال لهم يعاتبهم ويوجههم « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين » .

وتابع القرآن الكريم بعد ذلك علاج هذا الضعف الذى يسرى فى بعضهم ، فقص عليهم قصة من سبقوهم ، ممن لم تؤثر الشدائد فى نفوسهم ، ولم تهز صلتهم بربهم أو تضعف من قوة ايمانهم ، فقال لهم يعلمهم ويرشدهم « وكاين من نبى قاتل — وفى قراءة قتل — معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » . يقول لهم هذا ليعلموا موقفهم ، ومدى اخلاصهم لربهم ، وشجاعتهم فى دفاعهم عن قيمهم ، وثباتهم عندما تلم الشدائد بهم : كثير من الانبياء قبل نبيكم قاتلوا (او قتلوا) وقاتل معهم أصحاب لهم ، مخلصون لربهم ، متفانون فى عقيدتهم ، فما اثرت الشدائد على نفوسهم ، وما خارت لهم عزيمة ، ولا أصابهم ضعف ، ولا تسرب الى قلوبهم خوف من أعدائهم ، ولم يفكروا فى الاستسلام لهم . بل كانوا اقوياء بعقيدتهم ، ارتفعوا بها — او رفعتهم — فوق الشدائد ، واستعذبوا فى سبيل الحق الذى اعتنقوه ، ووهبوا حياتهم له كل المصائب ، فكانوا لذلك موضع الرضا من الله .. لانهم احبوا الله فاحبهم ، وصبروا على المكاره فى سبيله فقربهم ونصرهم .

وهؤلاء المؤمنون المخلصون لربهم ، الثابتون على ايمانهم ، الصابرون على ما اصابهم ، لم يكن شانهم شان بعض الذين يفقدون صوابهم ، حين تصيبهم الهزيمة ، او تحيط بهم الشدائد ، وتضعف صلتهم بربهم اذا لم يتحقق لهم ما يريدون ، ولم يقعدوا يتساءلون — وكانهم يحاسبون ربهم — كيف نهزم ؟ ولماذا يغلبنا أعداء الله ؟ الى غير ذلك من الاسئلة او التساؤلات التى تنبثق من النفوس المريضة ، والقلوب المزعزعة ، فتبعدهم عن رضا الله . وتزيدهم ضعفا على ضعف ، بل كان شانهم شان المؤمنين الذين تزيدهم النكبات صلة بربهم ، وتحملهم على البحث عن أسباب الهزيمة فى نفوسهم . ليصلحوا أخطاءهم ، ويرجوا الله أن يغفر لهم زلاتهم ، ويزيدهم قربا اليه ، وثباتا على الحق الذى يدافعون عنه ، ويهبهم أسباب النصر على أعدائه واعدائهم ..

ذلك المنهج الذى يعيد الثقة الى النفوس . ويضع الاصابع على موضع الالم ، ويهيىء مريض القلب ضعيف الروح الى القوة والشفاء .. منهج يرسمه الله لأوليائه واحبابه ، وليس صورة خيالية لا يستطيع البشر تحقيقها ، بل انه منهج واقعى ، سار عليه من قبلكم من المؤمنين المخلصين . وعالجوا به أسباب ضعفهم وهزيمتهم ، فتبدل ضعفهم قوة ، وضيقهم فرجا ، وذلك كله تجده حقيقة يعبر عنها العليم الخبير فى قوله عن هؤلاء الربانيين « وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » .

لم يشغلهم شيء عن الاتصال بربهم ، ودعائه ، ومناجاته ، والعيش في رحابه . لم ينقلبوا على أعقابهم خاسرين دنياهم وأخراهم .. ولم يلقوا اللوم على غيرهم ، وانما فتشوا عن العيب في نفوسهم ، واستغفروا الله منه ، وعملوا على تطهير انفسهم من ادرانه .

فكان الله معهم ..
رجعوا اليه فأحسن استقبالهم .
واستعانوا به فأعانهم .

ولم يكن كل همهم الدعاء والقول .. بل انهم فعلوا وثبتوا ، وقاتلوا ولم يهنوا ، وصبروا على الشدائد ولم ييأسوا ..

اتبعوا سنة الله في خلقه : عمل وكد وتعب ، وبذل وتضحية ، وهم في هذا كله على صلة بالله يدعونه ويضرعون اليه ..

ومن اجل هذا استجاب الله لهم ((فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة)) وهبهم النصر الذى طلبوه وعملوا له ، واعطاهم العزة التى دفعوا ثمنها اخلاصا وتضحية ، وذلك هو جزاء الدنيا لأمثالهم ، ولهم فى الآخرة عند الله احسن الجزاء .. جزاء المجاهدين العاملين المخلصين .. الذين جملوا دنياهم بحسن اعمالهم ((والله يحب المحسنين)) الذين يتقنون ما يعملون ، ويتقون الله فى كل ما يأتون ويذرون ..

ذلك اخى هو منهج المؤمنين عندما تلم بهم الشدائد .

وهذا هو علاج الله للنفوس عندما تنزل بها المكاره .

علاج أخبر الله عنه ــ فوق أنه من عنده وهو الحكيم الخبير ــ انه علاج مجرب . جربه السابقون من أصحاب الانبياء فنجح فى علاج أمراضهم ، واكسبهم عز الدنيا وسعادة الآخرة ، وارشد الله اليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجربوه ونجح ، فكان لهم النصر بعد الهزيمة ، وهو ــ بعد ــ علاج لكل من يأتى بعدهم ، ويقتفى آثارهم ، وتمر به أحداث كأحداثهم .

افلا تجد ــ أخى المسلم ــ اننا الآن احوج ما نكون الى هذا العلاج الربانى ، ننتصر به على محنتنا القاسية التى تمر بنا .. ونكون أهلا لعون الله وتأييده ؟

عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة .

من هدى السنة :

نداء الاسلام

عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الاول ، ثم لم يجدوا الا ان يستهموا عليه لاستهموا ، ولو يعلمون ما فى التهجير لاستبقوا اليه ولو يعلمون ما فى العتمة والصبح لاتوهما ولو حبوا »

(رواه البخارى وغيره)

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

١ — الاسلام هو الدين عند الله ، اراده باقيا خالدا ما بقى الكون وخلد ، وارسى اسسه على قواعد ثابتة عجيبة ، لا تقبل النقض ، ولا يتطرق اليها الخلل ، تنهض بالبشرية وتسعد الانسانية ، سهلة هينة يسيرة ، تعالج المشكلات المستعصية ، بوسائل غاية فى اليسر ، ونهاية فى اللطف ، قاطعة للداء ، وجالبة للشفاء .

تامل قليلا : قول سيد الخلق : (لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الاول ..) قال الشارحون السابقون — والفضل للسابق على اى حال — لو يدرى المسلمون ما فى الاذان من الفضيلة والاجر العظيم والثواب الجزيل .. وانتهوا الى هذا الحد .. وهذا شرح وقول لا غبار عليهما . ولكن : أتساءل ! لماذا استحق الاذان والصف الاول المروع اليهما ؟ ولأى شىء كان اجر المؤذن المحتسب ، والواقف فى الصف الذى يلى الامام كبيرا ؟ الان المؤذن يجمع الناس للصلاة وحسب ، ولأن الوجود فى الصف الاول يعنى المبادرة الى الاستجابة لداعى الله وكفى ؟

الجواب : قد يكون الامر كذلك ! ولكن الدراسة الواعية للآذان والفهم العميق للمبادرة الى الصف الاول ، يعطى معنا دقيقا رائعا ، لو ان الناس فهموه لتكاملت انسانيتهم ، ولعمروا الدنيا كما يريد رب الاسلام رب كل شىء ! ذلك : ان الفاظ الاذان ، تحمل فى طياتها دعوة صريحة واضحة جلية الى التحرر من كل عبودية عدا الله ، واللجوء الى الواحد الاحد وحده ، **فالله اكبر : تهز** القلوب المؤمنة هزا عنيفا لتصرفها عن بهيمية عمياء ، وتنزع بها الى تحسس وجودها ، ومكانها من هذا الوجود ، **فالله اكبر** ولا كبير غيره ، لا تلجأ الى سواه ، ولا تلذ بحمى من دونه ، وبالتالى كن عبدا مخلصا خالصا له ، تنطق بالحق ، وتتحامى الكذب ، **لا يغرنك** ما جمع فلان من مال ، فالله اكبر ، وان من شىء الا عندنا خزائنه ، فالواهب هو ولا معطى غيره ، وقد يميل بك المال عن طريق الحق

لو اعطيته (بضم الهمزة) ؛ ان من عبادى من لو اغنيته لفسد حاله ؛ (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء) ؛ **ولا يهولنك** عدد او عديد **فالله اكبر** له الغلبة **وان راقك** علم عالم **فالله اكبر** — ولا يحيط بشيء من علمه الا بما شاء (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) فهو واهب العلم ومن اتقى الله علمه ؛ **فالله اكبر** اليه مرجع كل شيء وهو على كل شيء قدير ؛ تفكر فيما خلق وابدع — بل فى بعض ما اوجد لا على مثال سبق — فانك لن تستوعب الوجود بعقلك الحادث وقدرتك الضعيفة الواهية الواهنة الا بمدد من الله ؛ تامل : هذه الارض تجد ما حوت قد تعدد اشكالا ؛ وتباين الوانا ؛ فهذا ماء عذب ؛ وذاك ملح اجاج ؛ وتلك صحارى ورمال ؛ ووهاد ونجاد ؛ واخرى تنبت الحب الخضير ليطعم الناس ويعيش الحيوان ؛ وسل البحار عما حوت ؛ وتحدث الى خبراء طبقات الارض عما اشتملت ؛ تسمع العجب العجاب مما علموه ، فكيف بهم لو ادركوا ما لم يدركوا مما غاب عنهم ، مما استأثر الله بعلمه ، وما سيفتح به على الآتين من بعدهم — اذا — لوقفوا حيارى مشدوهين ، وما استطاعوا جوابا ؛ ولادركوا انهم لم يدركوا شيئا . وما أوتيتم من العلم الا قليلا .

بعد هذا يتناهى الى من كان له قلب او القى السمع وهو شهيد — يتناهى اليه ان لا اله الا الله ؛ فلا بشر ولا حجر ؛ ولا شجر ولا مدر ؛ ولا شمس ولا قمر ؛ ولا تمثال ولا صنم ؛ولا مال ولا ولد ؛ وانما هو اله واحد يعبد ؛ وفى ظل وحدانيته تتوحد القلوب ويأتلف الناس ؛ ويتداعى بعضهم الى نصرة البعض ويعيشون اخوة متحابين ؛ فلا خصام ولا جدال ، ولا شقاق ولا نزاع ؛ ولا شك ولا اتهام ؛ **وهكذا** تمضي الفاظ الاذان التى تتكرر كل يوم خمس مرات ؛ بل ان رمت الحق عشر مرات ، تجذب القلوب المستعدة الى واجب الوجود ؛ الذى ارسل محمدا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ؛ ما تعالى ؛ ولا قال انى ملك او ملك (بفتح اللام فى الاولى وكسرها فى الثانية او العكس) ولا طغى ولا استكبر ، وانما هى رسالة هادية هادفة موجهة الى الخير الى السلام الى الامن الى الطمانينة الى الاخوة العالمية الى الاستقرار النفسى والعملى الى الركون الى الديان ، لا عنجهية فيها ولا التواء ولا غش ولا خداع ؛ ولا كذب ولا نفاق ، ولا تجبر ولا ادعاء ، سبحانك ربى برات محمدا على غرار اسلاف له سبقوه : ابراهيم وموسى ونوح وعيسى ؛ وسائر اضرابهم الذين رددوا دائما ؛ قل ، اسالكم عليه من اجر ان اجرى الا على الذى فطرنى ؛ ولم يدعوا الى عصبية ، ولم يرضوا بجهالة جاهلية ؛ وانما وضحوا السبيل الى الله وسبيل الله خير دائم فى الدنيا ونعيم مقيم فى الاخرة .

٢ — **حى على الصلاة حى على الفلاح :** اقبلوا ؛ تعالوا ؛ هلموا الى صلاة جامعة لتتلاقوا فى رحاب الله لتفلحوا فى مسالككم الدنيوية ، وتجنوا ثمارها طيبة دانية القطوف ؛ فلاح ونجاح ، وسعادة ورضى وهدى ورحمة ومودة ؛ وتعاطف واخاء ومحبة ؛ فيها تزكية للنفوس ؛ وتطهير للقلوب ؛ وقد افلح من زكاها وطهرها وسما بها عن سفاسف الامور وحقارات الاهواء ؛ ونظر بعين البصيرة الى افق الوجود الممتد عبر الماضى ؛ والسائر فى طريق الغد دون توقف ، فلك دائر ؛ وبشر حائر ، ولكن هنا الفلاح ؛ وهنا سفينة النجاة ، ربانها ربها ، وداعيها هاديها ؛ باسم الله تجرى وباسمه ترسو .

يعجب كثيرا عالم عالمى عظيم القدر في الدنيا قديمها وحديثها(١) افنى عمره في

---

(١) القديم غير أمريكا والحديث هى — والمراد بالحداثة او الحدوث هنا الاكتشاف فى العالم (بفتح اللام) عالمان قديم وجديد وهكذا مسيرة الحياة وارادة رب الحياة .

التجوال الهادف واتخذ من علم الاجتماع مرفقاته . فهو أستاذه في أرقى جامعات الدنيا ، لقيته وتحدثت اليه أو تحدث هو الى طويلا ، وفي الواقع كانت مناجاة لرسول الاسلام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وليس حديثا كما يعرف الناس الحديث ، قال الرجل العلامة : اني أعجب لماذا صار الامر الى ما اليه صار ، وما الداعي لما دعي اليه الداعي القفل الذى أوصد باب قلبه وحاول نفس الشيء مع قومه — اهله وعشيرته — آه لو تأمل المسلمون نداء الاسلام للصلاة ، ودرسوه وفلسفوه ، ولقنوه الابناء نورا ، وهدى وتجاوبا مع الخير — لو فعلوا — لانقادت اليهم تلك القطعان الضالة في دروب الحياة ، ولغدوا حديث اليوم والغد في المفاخر وحسن المآثر ولكن .. وهنا يستولي على الجميع صمت رهيب يعلم الله ما وراءه لأن كشف الحجاب عنده وحده .. وما يعلم الغيب الا الله ..

٣ — **والصف الاول** : يستحق الاستهام لانه نتيجة — عملية — رائعة لفهم النداء ، وهروع في هرولة وخشوع ، واستجابة الداعي ، ولياذ بجناب الله ، ولجوء الى حماه ، فالفاعل الى الفضل سباق ، والى الخير نزاع ، عظم ثوابه ، وتضخم اجره ، صار قدوة عملية ، وصورة واقعية محسة لما يجب ان يكون عليه المطيع للخالق المطاع ، يحمل قلبا عامرا بالايمان ، مليئا بالثقة بالرحمن فمن احب استجاب ومن استجاب لبى ومن لبى بادر ، قالوا : من لا يأتي في المؤخرة ، وانما يتصدر دائما في كل مسلك يوصل الى الله ، ويبادر الى تلقي رحمته في سكينة وأدب ، ووقار واعتزاز .

والنداء والصف الاول جديران بالاهتمام مستحقان للاستباق ، فمالكهما قد ملك ناصية الخير ، وفاقدهما فهما وادراكا وتحصيلا وفعلا قد ظلم نفسه — وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون .

٤ — والاسلام يبني أمة ، ويقيم دولا ، والرخاوة والميوعة واتباع الهوى تهدم المجد التليد وتودى بالقوى الى الحضيض فليس مؤمنا من تراخى وتوانى ، لأن التراخي والتواني ينجمان عن ضعف وخور ، يعقبان انحطاطا واسفافا ، ومن اضرته الهاجرة عن الاستباق الى الخير ، أو عاقته العتمة عن تلبية الداعي فهو من الهوان على الله بمكان لا يغبط عليه لانه اضعف الروح وانمى الجسد ، والروح بقاء ، والجسد فناء ، ومع قليل من حرية الكلمة تستطيع ان تلوى أعناق القوم الى ملاحظة التاريخ حيث يجدون اناسا قد نسوا أو تناسوا قوة الروح وعظمتها ، وركنوا الى ما مآله العفن والاندثار ، فجعلوا ارواء حيوانيتهم حياة لهم ، فانهاروا ومضوا تتابعهم اللعنات ، وستلاحقهم الى حيث دلفوا تحت الصفائح والجنادل ، فمن تغلب على النفس الخوارة وحاول شد ازرها ، سما بها الى النفس الواعية للحقيقة المدركة لما يفيد في العاجل والآجل ، فلا يستوى قاعد قابع خائف من حر الهاجرة ، أو من اقضته رهبة الظلام عن الهرولة الى المساجد لصلاة جامعة ، مع آخر رأى سعادته في طاعة الله فأرهق الجسد ، وأربى الروح ، وورثت حبال مودته مع الفاني لتتجدد مع الباقي . ووراء ظاهر القول الشريف على جماله غيب اجمل وأقوى اشعاعا أدركه العاقلون المحبون لله ، العالمون به ، العارفون لسلطانه ، فجاهدوا الهوى ، ولم يركنوا الى الراحة والدعة ، فما أهمتهم انفسهم ، وانما همهم رضا الله فساروا في القيلولة الى بيوت الله ، طائعين راضين آملين في رحمته سبحانه ورضوانه ، وهؤلاء اذا حزبهم امر او جابهتهم نازلة — وما اكثر نوازل الايام — استعانوا بقيوم السماوات والارض ، صاحب الحول والطول ، ومضوا يخوضون المعامع ، وينازلون في الحلبات ، ويتقدمون

الصفوف ، لا ينكصون ويتألمون ولا يتداعون (١) أمام الهول مهما كان ، ففوق كل قوة قوة الله ، ودون سلطانه كل سلطان ينصر بالتأييد أكثر مما ينصر بالعديد ، ويوهن كيد المعتدين بما لا يرى ولا يشاهد حسيا ، أقوى وأشد مما يدافعهم بالجحافل ، والقنا والقنابل .

فالاسلام قواعده وتوجيهاته اشاراته وتعبيراته في أصوله الثابتة ، دعوة صريحة جلية لبناء الانسانية الحقة الواعية المنبعثة من روح الله ، المدركة لفعاليتها مع الوجود الذي يجب أن تعمره بالخير والفضائل ، حتى لا يخشى انسان حيوانية الآخر ، ولا يرهبه رهبة تمحو شخصيته ، وتعفي آثار مروره بدروب الحياة القيمة الاصيلة ، وانما يشد أزره ، ويكون عضدا له يسانده ويقويه ، وتتكامل الاجزاء في كتل تتراص ، وتتجمع اتحقق ما اعتقده الخوارون مستحيلا أو قريبا من المستحيل ، ونظرة أخرى الى فحوى هذا التوجيه النبوي الكريم تبدي للناظر الفاقه المتدبر أن عابد الفناء المستجيب للدعة لا يستحق الرضى من الله ، ولا يلتفت اليه لأنه آثر غير ذي اثير (٢) واحب من يستحق البغض ، بل وضع يده في يد خصم عنيف عنيد لدود ليأكل روحه ، ويفني فضائله ويلاشيه كما تلاشي ذكاء الجليد .. وفي موضعي — حيث انا الآن — رأيت توأمي عمل ، وصنوي (٣) مسلك . بدا (٤) أحدهما للرائي شبحا هزيلا يسير الى جوار من امتص منه الحياة ، ثم ها هو ذا يمضي عنه الى فريسة أخرى ، ويتركه هملا نادما ولات حين مندم ، وأما الآخر الصنو في الفسيلة والاصل فقد بهر الرائي لألاء روحه ، وشموخ أنفه ، وارتفاع هامته ، لأنه جافى مسلك صاحبه ، وكان نداء الفناء عند دبر (٥) أذنه ، اذ أدرك — قبل الوقوع — انه فناء وواصل حتى وصل الى هدفه ، وسيصبح غدا من قادة الفكر وسادة العقل في الدنيا مع رصيد ضخم من الحيوية الروحية الفعالة والخلق الهادئ الرصين ، والعلم الراسخ الاكيد المستمد في جوهره من صلته الوثيقة بالباقي الدائم ، وبمثل هذا واضرابه تعتز الانسانية ، وتبنى المجتمعات الفاضلة ، وتنتصر الامة وتتصدى للقيادة والسيادة في كل ميدان اصلاحي هادف .

واحسبني قد قطعت من الزمن كثيرا في فكر ، ومضى بي صاحبي رفيقا ، ولن استغل رفقه فيما لا يجدي على الانسانية الجداء المفيد ، وانما استأذنه في العودة مرة أخرى قبل أن يطول الحديث ويتشعب ، وافارقه الى موعد لقاء بعون الله تعالى وكلاءته — وقد وعيت تماما انه لا حول ولا قوة الا بالله ، وان من ارضى الفناء فنى معه ، ومن لاذ بالباقي بقي وصمد وخلد كما يشاء الله ، والكل يسعى لصيد فخائب يحمل في جعبته (سربانا) (٦) وموفق يقود في معيته غزلانا .. والكل ماض في الطريق .. وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر .. وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

---

(١) من التداعي بمعنى الانهيار والانحلال (من قولهم تداعى البناء اذ آل الى السقوط) .

(٢) أي اهتم بما لا يستحق الاهتمام .

(٣) بفتح الميم وما قبلها في الاولى ، وفتح الواو واسكان ما قبلها في الثانية .

(٤) بدا بمعنى ظهر .

(٥) بسكون الباء وفتح ما قبلها .

(٦) سربانت : كلمة أعجمية مدلولها المطابق في اللغة العربية الثعبان الفتاك (Le sek pent) ويعني العجمة هنا أنها غير عربية وكفى .

بحث مقارن بين الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد المعاصر

الدكتور محمد عبد الله العربي
عميد معهد الدراسات الاسلامية
وعضو مجمع البحوث الاسلامية

التكليف الثالث

الانفاق في سبيل الله وما يتفرع عنه من حق الدولة في فرض الضرائب الحديثة

التكليف الثالث هو تقييد حق مالك المال بالزامه الانفاق فى سبيل الله .

وقد اطلعنا فى المقال السابق على أسانيد الكتاب والسنة فى الحث على الانفاق فى سبيل الله ، وانذار المجتمع بالهلاك اذا أحجم عن أداء هذه الفريضة حتى احالتها من فريضة خلقية الى فريضة الزامية لا تختلف عن الزكاة الا فى ترك الخيار لمالك المال فى تحديد مقدارها .

وقد رأينا اجماع التفسير الفقهى على أن التعبير « فى سبيل الله » ينصرف الى تحقيق كل ما تتطلبه مصلحة المجتمع على وجه الدوام والاستمرار والمجتمع الاسلامى مجتمع خير ، والدولة التى تقوم فيه دولة خيرة .

وأعباء الدولة الخيرة تتسع الى ما لا نهاية ، ومسئولية ولى الامر فى النهوض بهذه الاعباء مسئولية شاملة تمتد الى تحقيق مقاصد البشر جميعها . وظاهر أن نطاق هذه الاعباء — ومسئولية ولى الامر عنها — يختلف من عصر الى عصر حسب الظروف التى تجتازها الدولة المسلمة ، والاوضاع التى آلت اليها فى وقت معين .

واذا كان الانفاق فى سبيل الله فى صدر الاسلام يجرى سماحة وتطوعا ، حتى كان الغنى « كعبد الرحمن بن عوف أو عثمان بن عفان » يخرج عن أكثر من نصف ماله وأكرم ماله فى سبيل الله ، وكانت حصيلة الزكاة فى عصور أخرى تفيض عن حاجة المستحقين لها ، وقد لا تجد فى موطن جبايتها من تنطبق عليه شروط استحقاقها ، فان ظروف العصر الحاضر تختلف عن ظروف تلك العصور .

واذا كان ولى الامر يومئذ لم يجد حاجة للتدخل فى ملكية الأفراد لاقتطاع حصة المجتمع من أموالهم « فى سبيل الله » فانه فى هذا العصر يصير مفروضا عليه أن يتبع نهجا آخر ، تطبيقا لقاعدة « تغير الاحكام بتغير الازمان » .

فهذا تكليف مشروع على مال الفرد فى المجتمع الاسلامى وتكليف غير محدود الا بما توجبه مصلحة المجتمع .

وأرشد نهج يتبعه ولى الامر هو وضع نظام ضريبى عادل يلتزم خطة التصاعد « بحيث يرتفع سعر الضريبة كلما عظم دخل المكلف ، ولا تسرى الضريبة على وعائها من مال الفرد الا بعد أن تطرح منه حصة الزكاة .

واذا كان الفن المالى فى الظروف العادية ينصح بقصر الضريبة دائما على وعاء الدخل الذى ينتجه رأس المال ، بحيث لا يجوز اقتطاع شىء من رأس المال ذاته « لأن الدخل هو الوعاء المتجدد الامتلاء » فان سلامة المجتمع قد تقتضى فى الظروف غير العادية – ظروف الخطر الداهم على الوطن الاسلامى – مخالفة توجيهات الفن المالى ، والالتجاء الى فرض ضريبة استثنائية وقتية على رأس المال ذاته . واذا كانت القاعدة الشرعية « الضرورات تبيح المحظورات » تسرى حتى فى الشئون الدينية ، فكيف فى شأن دنيوى محض كتوجيهات الفن المالى .

ولا شك أن اقتطاع جزء من رأس المال يتجاوز الدخل السنوى الناتج منه قيد ثقيل على حق الملكية الفردية ، ولكنه بالرغم من ذلك حق ثابت لولى الامر اذا قضت به مصلحة المجتمع ، وقد أشار اليه وأيده الكثير من أعلام الفقه الاسلامى .

قال القرطبى : « واتفق العلماء أنه اذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد اداء الزكاة يجب صرف المال اليها » . قال مالك رحمه الله : « يجب على الناس فداء أسراهم وان استغرق ذلك أموالهم » . وهذا اجماع أيضا (1) .

وقال الغزالى : « اذا خلت الايدى (أيدى الجنود « من الاموال ولم يكن من مال المصالح « أى خزينة الدولة) ما يفى بخراجات العسكر « أى نفقات الجيش « وخيف من ذلك دخول العدو بلاد الاسلام أو ثوران الفتنة من قبل أهل الشر (أى حدوث الفتن الداخلية) جاز للامام أن يوظف على الاغنياء مقدار كفاية الجند ، لانا نعلم أنه اذا تعارض شران أو ضرران دفع أشد الضررين ، وأعظم الشرين وما يؤديه كل واحد منهم « الاغنياء) قليل بالاضافة الى ما يخاطر به من نفسه وماله لو خلت شوكة الاسلام « أى البلاد) من ذى شوكة (أى الجيش « يحفظ نظام الامور ويقطع مادة الضرر . ومما يشهد بهذا أن لولى الطفل عمارة القنوات « قنوات الارض الخاصة بالطفل) واخراج أجرة الطبيب وثمن الادوية « أى العائدة للطفل) (2) .

وقال الشاطبى : « انا اذا قررنا اماما مطاعا ، مفتقرا الى تكثير الجنود لسد حاجة الثغور وحماية الملك المتسع الاقطار ، وخلا بيت المال ، وارتفعت حاجات الجند (أى نفقات الجيش) الى ما لا يكفيهم فللامام اذا كان عدلا أن يوظف على الاغنياء ما يراه كافيا لهم « أى للجيش) فى الحال « الى أن يظهر « يوجد « مال بيت المال ثم اليه النظر فى توظيف ذلك على الغلات والثمار وغير ذلك . وانما لم ينقل مثل هذا عن الاولين « فى العصور الاسلامية الاولى) لاتساع بيت المال فى زمانهم « بخلاف زماننا فان القضية فيها أخرى ، ووجه المصلحة هنا ظاهرة ، فانه لو لم يفعل الامام ذلك بطلت شوكة الامام وصارت دياره عرضة لاستيلاء الكفار . وانما نظام ذلك كله شوكة الامام فالذين يحذرون

---

(1) جامع أحكام القرآن جزء ص ٢٢٣ .

(2) المستصفى جزء أول ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

من الدواعى لو ينقطع عنهم الشوكة (أى لو ضعف الجيش عن الدفاع) يستحقون بالاضافة اليهـا أموالهم كلها فضلا عن اليسير منها فاذا عورض هذا الضرر العظيم بالضرر اللاحق بهم بأخذ البعض من أموالهم فلا يتساوى فى ترجيح الثانى عن الاول ، وهو ما يعلم من مقصود الشرع قبل النظر فى الشواهد (١) .

التكليف الرابع

الامتناع عن الحاق الضرر بالغير

التكليف الرابع ، يرد على حرية مالك المال فى استعماله ماله فهو مقيد فى هذا الاستعمال بالامتناع عن الحاق الضرر بغيره أو بالمجتمع ، ذلك لأن جميع الحقوق التى اثبتها الشارع مقيدة بمنع الضرر عن الغير لأن الحقوق المطلقة لا يمكن أن تثبت فى شريعة تستمد أحكامها من شريعة السماء لأنها تنظر الى الرحمة بالناس كافة لا بآحاد الناس خاصة ، فكل الحقوق الثابتة فى الشريعة أساسها دفع المضار وجلب المصالح والموازنة بينها ، فمن أساء استعمال حقه بأن ترتب عليه الضرر بغيره ، فانه فى هذه الحالة يمنع اذا كان الضر أشد . ومن المقررات الشرعية أن الحقوق فى الاسلام تصدر عن الشارع ، فالعقود لا تنتج آثارها الا بحكم الشارع ، وهى فى اثباتها لهذه الحقوق أسباب جعلية وليست أسبابا طبيعية . فمعطى الحقوق هو الله تعالى فحق المالك والامتلاك والاختصاص والاستغلال والاستيلاء على الاشياء المباحة بأصل الخلق والتكوين — مستمد من أحكام الشرع الاسلامى ، وان الله تعالى عندما أعطى هذه الحقوق قيدها بعدم الضرر ، لأنه ان كان فيها ضرر بالغير كان فيها اعتداء . والاعتداء منهى عنه بقوله تعالى : « ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » (٢) وفى ذلك يقول ابن القيم :

« اذا تأملت شرائع دين الله تعالى التى وضعها بين عباده وجدتها لا تخرج عن تحصيل المصالح الخاصة أو الراجحة ، وان تزاحمت قدم أهمها وأجلها وان فات أدناها كما لا تخرج عن تعطيل المفاسد الخالصة والراجحة بحسب الامكان وان تزاحمت عطل أعظمها فسادا بتحمل أدناها . وعلى هذا وضع أحكم الحاكمين شرائع دينه ، دالة عليه شاهدة له بكمال علمه وحكمته ، ولطفه بعباده واحسانه اليهم (٣) .

وقد قدمنا فى أول الكلام عن القاعدة الشرعية « لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام » وعن القواعد الفرعية المشتقة منها . وقد أجاد الفقه الاسلامى اجادة لا يرتقى اليها أى فقه وضعى فى التمييز بين الضرر الذى يلحق بالكافة وبين الضرر المقصود والضرر غير المقصود وميز بين مراتب الضرر الى ضرر مقطوع به وضرر قليل وضرر كثير غير غالب الى آخر هذه الذخائر الثمينة التى حفل بها تراثنا فى الفقه الاسلامى والتى تجرى فيها الموازنة العادلة بين جلب المصالح ودفع المفاسد .

وما دمنا بصدد الحديث عن هذا الموضوع فاننا نكتفى هنا باثبات المبادىء الثلاثة الآتية :

الاول : ان كل ضرر يلحق الكافة هو فى دائرة المنع ، ويعد مسيئا لاستعمال حقه كل من أدى

---

(١) الاعتصام — جزء ٢ ص ١٠٤ .

(٢) اساءة استعمال الحق للأستاذ محمد أبو زهرة — موسوعة جمال عبد الناصر فى الفقه الاسلامى ص ٨٨ .

(٣) مفتاح دار السعادة ص ٣٥٠ .

استعماله لحقه الى الحاق الضرر بالكافة ، ولذلك يتجه الفقه الاسلامى الى منع أمور قد يكون مبناها ما يحتمل اساءة استعمال الحق . وحينئذ ينتقل الفعل من مأذون فيه الى ممنوع لأن الضرر العام ضرر كبير دائما ، ومن أجل ذلك يتحمل الضرر الخاص فى سبيل دفع الضرر العام .

الثانى : ان الاضرار العامة لا ينظر فيها الى قصد الضرر أو عدم قصده انما ينظر فيها الى المآلات . فالافعال ان كانت تنتهى الى مفاسد كثيرة تمنع ، ولو لم يقصد صاحبها . فان النظر الى المآل لا يلتفت فيه الى مقصد العامل ونيته بل الى نتيجة العمل وثمرته . فالامر الجوهرى بالنسبة للفعل الذى يكون استعمالا لحق مأذون فيه ، ثم ترتب عليه ضرر عام هو مقدار الضرر المترتب لا النية التى قوامها العمل فقط . ويضيف الشاطبى الى ذلك : « اذا كان الامر يتعلق بالعامة فان الضرر حينئذ يكون عاما ، ومهما يكن مقدار الضرر النازل بصاحب الحق فانه قليل بالنسبة لما يصيب العامة ولذا قدم حق العامة ولكن يجب تعويض صاحب الحق عما ناله من ضرر بسبب فوات جلب المنفعة الشرعية له (١) .

الثالث : انه عند النظر الى الضرر الواقع بالآحاد لا يعد الشخص مسيئا فى استعمال حقه الا اذا كان معتديا فى استعماله بأن قصد الى الاضرار بالفعل كما يدل على ذلك الامر الثابت وهو أن لا يكون ثمة مصلحة له فى الاستعمال أو لا يتعين هذا الطريق لجلب المصلحة له أو تجاوز الحد المقرر لمثله بأن كان يستعمل حقه استعمالا غير عادى كان يسقى الارض فى وقت كان يمكنه أن يؤجل وجاره أو شريكه فى المسقى لا يمكن أن يؤجل وهكذا ، أو يكون قد قصد بعمله تفويت نفع ثابت لمن يعامله وظاهر الحال يدل على ذلك القصد (٢) .

ومراجع فقهنا حافلة بتطبيقات عملية كثيرة لهذا التكليف سواء فى مجال الضرر الخاص أو مجال الضرر العام ، وكلها تفرض على القضاء وعلى ولى الامر تنفيذ هذا التكليف .

هـــذا ومن الاضرار التى تلحق بالمجتمعات احتبـــاس أكثر الثروة القومية فى أيدى قلة قليلة من أبناء المجتمع ، ووجود الكثرة الساحقة فيه على حافة المتربة . ولا شك أن هذا يتنـــافى مع الهداية القرآنية التى فرضت تداول المال فى المجتمع ، ويؤدى حتما الى أضرار اقتصادية ومساوىء اجتماعية وسياسية كثيرة . لذلك نقرر أن لولى الامر فى كل بلد اسلامى ، بل يجب عليه وعلى المجتمع الذى يرعاه ، أن يحمى المجتمع من هذه الاضرار ويتخذ الاجراءات الكفيلة لتحقيق هذه الحماية مع التزام العدالة . وهذه الاجراءات لا شك تختلف من بلد الى بلد على ضوء ظروف كل بلد والملابسات الخاصة به ، وعلى الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية السائدة فيه ، وعلى ضوء مدى تغلغل هـــذا الداء فى كيانه الاجتماعى ، على أن يكون ذلك كله فى نطاق أحكام السياسة الشرعية .

التكليف الخامس

الامتناع عن تنمية المال بغير الوسائل المشروعة

التكليف الخامس هو منع مالك المال من تنميته بغير الوسائل التى أجازها الشارع فى تنمية المال .

وفى مقدمة الوسائل التى حرمها الاسلام . الغش والاحتكار والربا ، وهى وسائل أصبحت شائعة ومألوفة فى الاقتصاد المعاصر حتى صارت مهمة ولى الامر فى مقاومتها مهمة عسيرة .

---

(١) الشاطبى . الموافقات جزء ٢ ص ٣٦٩ .

(٢) اساءة استعمال الحق للأستاذ محمد أبو زهرة — موسوعة جمال عبد الناصر للفقه الاسلامى ص ٨٩ ، ٩٠ .

وقد قلنا من قبل أن من رسالة الفقه الاسلامي المعاصر العمل على تذليل مهمة ولى الامر ــ النائب عن الجماعة ــ فى اقامة حدود الله وتنفيذ أوامره ونواهيه .

أما الغش : فمجال ولى الامر فى منعـــه ميسور . فالكشف عن الغش كفله نظـــام الحسبة الاسلامى ، وأما ردع الغاشين فلولى الامر تعزيرهم كما له تغريمهم بمثل الكسب الخبيث الذى حصلوا عليه أو باضعافه .

اما الاحتكار : فقد بسط فقهنا لولى الامر سبيل الضرب على أيدى المحتكرين ، وذلك بفرضه بيع المال المحتكر بالسعر المعقول أو بتعزير المحتكرين حتى يبيعوا به .

صحيح أننا نجد اختلافا بين فقهائنا فى تحديد المواد التى يكون محتكرها آثما فمنهم من قصر الاحتكار المحرم الذى يسوغ لولى الامر التدخل لمنعه على أنواع من الطعام ، وهى الحنطة والشعير والتمر لانها كانت أطعمة العرب يومئذ ، ففسروا الطعام فى قوله عليه الصلاة والسلام : « جالب الطعام مرزوق والمحتكر عاص وملعون » بأن الاحتكار الذى فيه عصيان واثم هو الذى ينصرف الى هذه الاصناف من الطعام . ومنهم من رأى أن طعام الناس لا يقتصر على الانواع السابقة فمن الناس من لا يقتات بالتمر ويقتات بالذرة أو الارز ، وكلمة الطعام تشمل كل الاقوات ، ومنهم من اضـــاف قوت البهائم لأن الاثم واقع على كل من يحرم حيا من الاحياء من قوته .
ولكن الرأى الراجح هو رأى أبى يوسف صاحب أبى حنيفة اذ يقول :

« كل ما أضر الناس حبسه فهو احتكار وان كان ذهبا أو فضة : ومن احتكره يعد قد أســـاء استعمال حقه فيما يملك ، لأن كل ما يضر حبسه كالثياب مثلا لا يقل أذى للناس عن الاحتكار باطلاق غير مقصور على الطعام ، ولأن المقصود من منع الاحتكار هو منع الضرر عن الناس ، والضرر كما ينزل بمنعهم القوت ينزل أيضا بمنعهم الثياب وغيرها ، فللناس حاجات مختلفة والاحتكار فيها يجعل الناس فى ضيق » .

وهكذا اتسع رأى أبى يوسف لكل السلع التى يكون فى حبسها ضيق أو ضرر اجتماعى او حبس لموارد الرزق .

وخطر الاحتكار على الاقتصاد العالمى أصبح فى غير حاجة الى مزيد من البيان فكلنا نعلم كيف تغلغل الاحتكار ــ الظاهر والخفى ــ فى أكثر ميادين الانتاج العالمى وكيف تحالف المحتكرون من أقطاب المال عبر حدودهم مع زملائهم فى بلاد أخرى ونجحوا فى تحديد الاسعار التى تؤتيهم الربح الفاحش ، وخلقوا الازمات وتآمروا على بخس أثمان المواد الخام التى تنتجها البلاد النامية اضرارا باكثر من ثلثى سكان الارض . ولا زالت جهود الامم المتحدة ــ العناصر الطيبة فيها ــ تتوالى وتتعثر فى محاولة التخفيف من ويلات هذا الداء الوبيل .

أما الربا فهو الآفة الكبرى التى سيطرت على الاقتصاد العالمى المعاصر وامتدت حبائلها الى معاملات البشر فى أقطار الارض ، فأصبح الربا فى رأيهم ركنا أساسيا فى التنظيم الاقتصـــادى الحديث ، وبالرغم من ايمان أكثرهم بأوزاره ومعقباته يئسوا من أن يجدوا منه بديلا واعتبروه ضرورة حتمية لن يجدوا عنها مصرفا .

ولكن الهداية الاسلامية مهدت للبشر مخرج صدق من حيرتهم : والبرء من هذه الآفة ونزعاتها الشيطانية ، وان على المجتمعات الاسلامية أن تأخذ بيد البشر جميعا الى صراطها المستقيم .

وان فى شريعتنا الغراء ما يهدينا الى اجراءات توفق بين تحريم الاسلام الربا ــ أسوة بتحريمه فى جميع الشرائع الالهية ــ وبين الضرورات الاقتصادية المعاصرة (١) .

---

(١) وما هذه الاجراءات ؟ أصبحنا فى حاجة الى حل عملى سريع يخرج المسلمين من هـــذا التناقض بين دينهم وضرورات حياتهم . « الوعى »

التكليف السادس

قيود على كيفية التصرف في المال

التكليف السادس يقيد حرية المالك فى التصرف فى ماله — فى رأس المال أو فى الداخل الناتج عنه — فيحرم عليه التقتير والاسراف على السواء ، وقد رأينا فى تعاليم الاسلام الخلقية النهى الصريح عن الامرين .

ولكن مهمة ولى الامر فى سعيه الى تنفيذ هذا التكليف بشطريه تختلف فى أحدهما عن الآخر .

اما فى الاسراف فان تدخل ولى الامر فى منعه ظاهر لا خفاء فيه ولا جدال ، فحقه فى الحجر على السفيه مقرر بالنص . والسفه يحتمل أوسع التفسير اذا قضت بذلك ظروف المجتمع وأوضاعه الاقتصادية والاجتماعية فى عصر معين . فما لا يعتبر سفها فى ظروف معينة يجب أن يعتبر سفها فى ظروف أخرى ، وقد رأينا ابان الحرب العالمية الثانية دولا لا تدين بالاسلام تعتبر الامعان فى كثير من المباحات المتاعية سفها تردع رعيتها عنه ، ولا زالت تشريعات دول كثيرة تفرض قيودا على ما يجوز لمواطنيها أن ينفقوه فى سياحاتهم خارج أوطانهم . واذن فصفة السفه لا تقتصر على انعدام الرشد فى تصرف السفيه فى ماله ، وما يلحقه من الضرر بنفسه ، بل له صلة وثيقة بظروف المجتمع الذى يعيش فيه السفيه .

واما فى التقتير والاكتناز فقد يجد ولى الامر فى منعهما مشقة كبيرة تجعله يضيق بالمقترين والمكتنزين ذرعا . ولكن ما اشرنا اليه من قبل من فرض التصاعد الضريبى على الاموال قد ينجح فى اقناع المقتر بالكف عن غل يده الى عنقه اذ لن يزيده التشبث بشحه الا حرمانا من متع الحياة واما محاربة الاكتناز فلولى الامر حرية اتخاذ ما يراه من وسائل ادارية ، وقد يلجأ فى الكشف عن الاكتناز الى دراية المحتسب ويلجأ الى التعزير فى النهاية .

التكليف السابع

منع استخدام المال في حيازة نفوذ سياسي

وهنا فطنت تعاليم الاسلام الى آفة خبيثة انتشرت فى الديمقراطيات الغربية المعاصرة . بدأت هذه الديمقراطيات — طوال القرن التاسع عشر — باحتكار الحق السياسى فى الانتخاب لمن عنده نصاب معين من المال ولما اضطرت خلال القرن العشرين تحت ضغط شعوبها الى رفع هذا القيد لم يكن رفعه ليمنع أقطاب المال من حيازة نفوذ سياسى ضخم بما يملكونه من وسائل التأثير فى الناخبين طورا بالوعد وطورا بالوعيد . وبخداعهم بكل وسائل الاعلام التى يملكونها وبسيطرتهم على موارد البلاد الاقتصادية التى يقتات منها جموع الناخبين .

ومهمة ولى الامر هنا هى العمل الجاد على انفاذ هذا التكليف وذلك بأن يجمع — بما يفرضه

البقية على صفحة ٢٥

تحديد أوائل الشهور العربية

للشيخ محمد على السايس

مقدمة البحث

طال الجدل بين العلماء قديما وحديثا فى شأن الشهور القمرية ، وتحديد أوائلها وأواخرها ، واختلفت كلمتهم فى ذلك اختلافا كثيرا ، وفى كل عام يتجدد النزاع ، وتحتدم المناقشة فى هذا الشأن ، لا سيما فى شهرى رمضان وذى الحجة ، لارتباط الصيام والحج بهما ، وكثيرا ما تطلع الناس الى علماء الشريعة ، وراودهم الامل فى أن يطلعوا على الناس برأى يجمع كلمة المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، ويوحد صفوفهم ، ويؤلف بين قلوبهم ، ويقضى على هذا التفرق والتنازع .

ولا شك أن توحيد مبدأ الشهور العربية فى البلاد الاسلامية يعد من أقوى العوامل على تمكين الروابط بين الشعوب الاسلامية فى جميع أقطار الارض ، وجمعهم على كلمة واحدة وطريقة واحدة .

وقد تبين لى والحمد لله بعد الاطلاع على كثير من المراجع ، والرجوع الى اهل الذكر فيما ليس لنا به علم من علماء الفلك ، أن هذا المطلب ليس بعزيز المنال ، وأنه أيسر مما كنت أظن ويظن كثير من الناس ، لكثرة اختلاف العلماء طوال الازمان الخالية ، دون أن تتلاقى وجهات نظرهم ، ويتفقوا على رأى واحد يريح المسلمين من هذا التنازع ، ويجمعهم على كلمة سواء .

ولا تثريب على من اختلفوا قديما من العلماء ، فلم يكن لديهم تلك الوسائل التى من الله بها على عباده فى هذا الزمان .

وأول تلك الوسائل تقدم علم الفلك وبراعة علمائه فيما يعالجونه من شئونه ، وذلك بالحساب الدقيق القطعى المبنى على قواعد هندسية مبرهنة ، والذى يضبطون به أحوال القمر ومنازله ومواقفه ، ويحددون به أوائل الاشهر القمرية ونهايتها ، مما يستعان به على رؤية الهلال رؤية عينية ، فى غاية العلم وهى عين اليقين .

وثانيها : ما اخترعه العلماء فى هذا العصر من الآلات الحديثة التى يسهل بها كشف الهلال فى ليلته الاولى مهما كان صغيرا ، دقيقا ، من المراصد المجهزة بأحدث الوسائل العلمية مما ييسر أمر الرؤية فى هذا العصر .

لفضيلة الاستاذ الشيخ محمد علي السايس الاستاذ بكلية الشريعة بجامعة الازهر ، بحث طويل حول تحديد اوائل الشهور العربية ، وما اذا كان من الجائز أن نعتمد على الحساب الفلكي في هذا التحديد او لا . ونظرا لان هذا الموضوع يشغل التفكير ولا سيما عند دخول رمضان من كل سنة فانا نقدم للقراء تلخيصا وافيا لهذا البحث فيما يأتي :

وثالثها : تقدم وسائل الاذاعة والاعلام فى هذا الزمان ، فالراديو والتلفزيون واللاسلكي وغير ذلك مما يسهل اعلام جميع البلاد الاسلامية بالرؤية فور ثبوتها .
ويشتمل هذا البحث على اربعة فصول وخاتمة :

الاول : فى اقوال علماء المذاهب الاربعة فيما يثبت به هلال رمضان وشوال وغيرهما فى حالتى الصحو والغيم ، مع بيان وجهة كل منهم ومناقشة الادلة وترجيح المختار منها .

الثاني : فى بيان آراء علماء الاسلام فى مطالع القمر ، وهل يؤثر اختلافها فى اثبات الشهور ؟ او لا عبرة باختلافها فيمكن توحيد البلاد الاسلامية واجتماعها على مبدأ واحد ؟

الثالث : فى بيان أنواع الحساب الفلكى وما جرى عليه العمل قديما وحديثا فى التقاويم الرسمية وغيرها ، حتى يتميز ما يصح التعويل عليه وما لا يصح .

الرابع : في بيان آراء العلماء فى الاخذ بقول اهل الحساب والفلكيين فى تحديد الشهور القمرية .

اما الخاتمة — فهى فى بيان ما يجب على الدول الاسلامية القيام به فى شان اثبات الشهور القمرية ، لنصل الى هذه الغاية المنشودة من اقرب سبيل .

اقوال العلماء
فيما تثبت به الشهور القمرية

مذهب الحنفية :

المقرر فى معتبرات الكتب عند الحنفية انه يجب على المسلمين وجوب كفاية أن يلتمسوا هلال رمضان وغيره فى اليوم التاسع والعشرين من الشهر السابق ، لأن الشهر قد يكون تسعة وعشرين يوما ، فيجب طلبه لاقامة الواجب ، فان رأوا الهلال ثبت الشهر الجديد ، وصاموا ان كان رمضان ، لقوله تعالى « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » وان غم عليهم اكملوا عدة الشهر ثلاثين يوما ، لقوله صلى الله عليه وسلم « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » .

وبعد أن عرض البحث أقوال علماء الاحناف فى اثبات هلال رمضان وغيره . هل تثبت بخبر واحد أو اثنين ، وبعد أن أتى بتحقيق المرحوم الشيخ محمد بخيت المطيعي حول هذه الاقوال قال :

وخلاصة ما تقدم :

١ — ان الخبر الخاص برؤية الهلال من قبيل الاخبار الدينية ، فيجب وجوبا كفائيا على من رآه ، أو بلغه الخبر بطريق شرعى أن يعلنه قياما بالواجب الدينى.
٢ — ان ثبوت الاهلة كلها لا يدخل تحت الحكم قصدا ، وأن حكم القاضى بالنسبة للهلال من قبيل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أو من قبيل الفتوى .
٣ — أن أى شهر من الشهور الاثنى عشر يثبت شرعا برؤية هلاله او بعد الشهر السابق عليه ثلاثين يوما .
٤ — أنه يكفي في ثبوت اى شهر خبر واحد عدل عدالة رواية فى حالتى الغيم والصحو ، ما لم يكن تفرده مظنة الغلط أو الكذب فلا بد من عدد يتحقق به غلبة الظن .

٥ — أنه لا يشترط نصاب الشهادة ، ولا لفظ اشهد ، ولا تقدم الدعوى ، ولا مجلس الحكم ، ولا قضاء قاض ، ولا أمر وال ، الا ان يكون المقصود باثبات الشهر حقا من حقوق العباد ، فيشترط فيه ما يقتضيه هذا الحق مما هو مقرر فى كتب الفقـــه .

مذهب الشافعية

قال الامام النووى يجب صوم رمضان بأحد امرين : الاول اكمال شعبان ثلاثين يوما ، والثانى رؤية الهلال ليلة الثلاثين منه ، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم (صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا عدة شـــعبان ثلاثين) .

والراجح انه يكتفى بعدل واحد فى ثبوت هلال رمضان احتياطا للعبادة . وكذلك لكل شهر اشتمل على عبادة كشوال والاضحى بالنظر الى العبادة فقط ، ولا تثبت الرؤية لأى شهر بشهادة العدل بالنسبة لغير العبادة كحلول دين مؤجل وطلاق وعتق علقا به .

والراجح عندهم على القول بالاكتفاء بعدل واحد انه بطريق الشهادة لا الرواية ، فلا يقبل فيها قول العبد والانثى ، ويشترط فيها لفظ اشهد ، وهى شهادة حسبة لا تفتقر الى الدعوى ، ولكن لا بد فى وجوب الصوم على العموم من ثبوتها عند قاض ينفذ حكمه .

مذهب المـــالكية

يثبت رمضان أى يتحقق فى الخارج سواء حكم بثبوته حاكم ام لا باحد امور ثلاثة :

الاول : اتمام شعبان ثلاثين يوما .
الثانى : رؤية عدلين الهلال .
الثالث : رؤية جماعة مستفيضة لا يمكن تواطؤهم عادة على الكذب .

مذهب الحنابلة

يقبل فى هلال رمضان قول عدل واحد ، ولا فرق بين الغيم والصحو والمصر وخارجه .

ولا يقبل فى رؤية هلال رمضان خبر مستور ولا صبى مميز لعدم الثقة بخبره ، ولا يقبل فى بقية الشهور كشوال وغيره الا رجلان عدلان بلفظة الشهادة .

اختلاف مطالع القمر

وتحت هذا العنوان تحدث فضيلة الشيخ السايس عن اقوال الفقهاء فى اختلاف مطالع القمر حسب البلاد ، وهل تصوم كل بلد حسب رؤيتها ، أو يلزم المسلمين الصيام متى رئى الهلال فى أى بلد من بلادهم فقال :

الثابت واقعيا وعلميا والمشاهد حسيا أن الهلال يرى فى بعض البلاد بعد غروب الشمس ، ولا يرى فى بعضها الا فى الليلة التالية ، بمعنى هذا أن رؤية الهلال اول الشهر قد تكون متيسرة لبعض الاقطار دون بعض ، فاختلاف مطالع القمر أمر واقعى مشاهد وظاهرة كونية لا جدال فيها ، لكن الذى اختلفت فيه انظار الفقهاء ، هو أنه : هل لهذا الاختلاف فى المطالع تأثير فى ثبوت الاهلة والاحكام المتعلقة بها كالصوم والافطار والحج والاضحية ؟ أو أنه لا عبرة باختلاف المطالع ، فاذا ثبت الهلال فى أى بلد اسلامى ثبت فى حق جميع المسلمين اذا بلغهم ثبوته بطريق موثوق بصحته .

مذهب الحنفية

ظاهر مذهب الحنفية كما قال صاحب الدر المختار انه لا عبرة باختلاف المطالع ، فيلزم اهل المشرق برؤية اهل المغرب ، وذلك لأن عموم الخطاب فى قوله « صوموا لرؤيته » معلق بمطلق الرؤية من أى مسلم .
وعلى هذا الراى أكثر المشايخ وهو الذى عليه الفتوى .

مذهب المالكية

اما المالكية فلهم ثلاثة آراء :
الاول : انه لا عبرة باختلاف المطالع قربت البلاد ، أو بعدت .
الثانى : انه يعتبر اختلاف المطالع اذا ثبتت الرؤية عند حاكم خاص ، فانه لا يعم الحكم الا من فى ولايته فقط .

الثالث : يعتبر اختلاف المطالع بالنسبة للبلاد البعيدة جدا كالاندلس من خراسان .
ثم قال ان عدم اعتبار اختلاف المطالع هو المشهور ، وهو المعتبر وما عداه لا ينهض ، ولا يقاوم ما هو المشهور ، وما عليه الفتوى .

مذهب الشافعية

وكما اختلف الحنفية والمالكية فى اعتبار اختلاف المطالع وعدم اعتبارها اختلف الشافعية .
فكان لعلمائهم فى هذا الموضوع آراء :
احدها ــ يلزم أهل الارض برؤيته فى موضع منها .
الثانى ــ يلزم أهل اقليم بلد الرؤية دون غيرهم .

الثالث ــ يلزم كل بلد يوافق بلد الرؤية فى المطلع دون غيره ، وهــذا اصحها .

الرابع ــ يلزم كل بلد لا يتصور خفاؤه عنهم بلا عارض دون غيرهم .
الخامس ــ يلزم من دون مسافة القصر دون غيرهم .
السادس ــ لا يلزم غير بلد الرؤية .

ثم نقل عن تقى الدين بن السبكى فى رسالته العلم المنشور فى اثبـات الشهور قوله : والقول بأن لكل بلد رؤيته على اطلاقه ضعيف واعتبار مسافة القصر فى هذا المحل ضعيف ، واعتبار كل بلد لا يتصور خفاؤه عنهم جيد ، واعتبار الاقليم ضعيف ، والزام جميع البلاد اذا رئى فى بلد ضعيف جداً ، لأن عمر ابن الخطاب وسائر الخلفاء الراشدين لم ينقل انهم كانوا اذا راوا الهلال يكتبون الى الآفاق ، ولو كان لازماً لهم لكتبوا اليهم لعنايتهم بأمور الدين ، ولانا نقطع بانه قد يرى فى بعض البلاد فى وقت لا يمكن رؤيته فى بلد آخر ، وبأن الله لا يخاطب قوماً الا بما يعرفونه مما هو عندهم .
ثم وعد فضيلة الشيخ بمناقشة هذه الحجج الثلاث فى نهاية البحث .

مذهب الحنابلة

جاء فى المغنى والشرح الكبير ص (٧) جزء ثالث ، « واذا راى الهلال اهل بلد لزم جميع البلاد الصوم ، وهذا قول الليث وبعض اصحاب الشافعى .

مذهب الشيعة الامامية

اختلف فقهاء الشيعة الامامية وكذلك علماء الزيدية فى اعتبار اختلاف المطالع فى ثبوت هلال رمضان ، فظاهر كلام الحلى ان اختلاف المطالع معتبر ، فلا يعم ثبوت الشهر برؤية من اختلف مطلع بلده عن بلد الرؤية ، كما ذكره العاملى فى الحبل المتين فى احكام الدين ، وهو مذهب الهادوية والامام يحيى من الزيدية ، بل لا يعمم عنده فى الاقليم الواحد والجهة الواحدة ان اختلفت ارتفاعا وانحذارا ، كما فى البحر الزخار ، وقال الصنعانى فى سبل السلام : والاقرب لزوم بلدة الرؤية ، وما يتصل بها من الجهات التى على سمتها ، واختار المهدى وجماعة من الزيدية تعميم الحكم والشهادة بالرؤية جميع البلاد ، وقال الشوكانى وهو الذى ينبغى اعتماده ، وذهب اليه جماعة من الامامية .

الرأى المختـار

وبهذا انتهى فضيلة الشيخ من عرض آراء المذاهب فى هذا الموضوع ــ ثم انتقل الى ابداء رأيه فيما عرضه فقال :
وبعد أن استمعنا الى آراء علماء المسلمين وحججهم ومناقشاتهم لا يسعنا الا ترجيح القول بعدم اعتبار اختلاف المطالع ، لا لأن هذا هو ما تصبو اليه نفوس الكثيرين من العلماء والمصلحين ، حتى تتوحد كلمة الامة الاسلامية ، ولا لأن القائلين به هم الكثرة الغالبة وهم الجمهور ، ولكن لأن سنده من الكتاب والسنة قوى متين ، وشبه المخالفين مردودة .
ثم أخذ يفند آراء المخالفين فقال :

ما قاله السبكي من أن عمر والخلفاء الراشدين لم يكتبوا الى الآفاق بثبوت الرؤية لأنهم حريصون على أمر الدين ، مردود عليـــه بأنهم لم يكتبوا لصعوبة المواصلات في زمنهم ، فقد لا يتيسر وصول المكتوب الا بعد انقضاء رمضان . بينما وصول الخبر متيسر الآن بواسطة الاذاعة واللاسلكى .

وما قاله السبكي وغيره من قياس اختلاف مطالع القمر على اختلاف مطالع الشمس ، مردود عليه بأنه انما اعتبر اختلاف مطالع الشمس لئلا يلزم الحرج ، وتؤدى العبادات قضاء ، ولا يلزم من عدم اعتبار اختلاف المطالع القمرية اى حرج . لأنه من المتيسر جدا بعد الاختراعات الحديثة تبليغ ثبوت الرؤية فى لمح البصر ، وقبل أن يطلع النهار الجديد في اى بلد اسلامى مهما كان نائيا عن بلد الرؤية ، فقد ثبت علميا أنه ليس بين أى بلدين اسلاميين فى مشارق الارض ومغاربها أكثر من تسع ساعات فلكية ، فاذا ثبتت رؤية الهلال فى مراكش وهى اقصى بلد فى المغرب ، فانه من الممكن ان يبلغ ثبوت الهلال لأقصى بلد فى المشرق بعد مرور تسع ســاعات من غروب الشمس عنــدهم . اى قبل طلوع الفجر عندهم بنحو ساعة ونصف . لأن الليل عندهم اثنتا عشرة ساعة دائما ، لأنهم على خط الاستواء تقريبا . وهذا القدر الباقي من الليل كاف لاثبات انهم فى اول ليلة من رمضان . وكذلك هو كاف لتبييت النية والسحور بدون حرج ولا مشقة . هكذا قال اهل الذكر والعهدة عليهم . والله يقول « فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » .

وما قاله السبكي أيضا من ان الله لم يخاطب قوما الا بما يعرفونه عندهم مردود عليه بأنه ما دامت رؤية كل فرد من أفراد المكلفين ليست شرطا لثبــوت الهلال وما يتعلق به من الاحكام فى حقه اجماعا . بل الشرط العلم بها بمعنى غلبة الظن بأى طريق يفيد ذلك ، فلا مناص من ترجيح القول بعدم اعتبـــار اختلاف المطالع ، لأنه متى ثبتت الرؤية عند قوم عم ثبوتها جميع أهل الارض متى نقلت اليهم ، وعلموا بها بأى طريق من طرق الاعلام ، ولو انه تيسر للخلفاء والولاة فى صدر الاسلام ما هو متيسر الآن من اذاعة الاخبار فى جميع انحاء المعمورة فى اقل من لمح البصر لما ترددوا فى ابلاغ ثبوت الاهلة الى جميع الولايات الاسلامية ، ليتوحد مظهرهم الدينى ، ويتفقوا فى بدء الصيام والافطـــار وسائر أعيـــادهم ومواسمهم الدينية .

والخلاصـــة

انه ما دامت مسألة اختلاف المطالع القمرية من حيث اعتبارها أو عـــدم اعتبارها محل اجتهاد الفقهاء ، ذلك الاجتهاد الذى اختلفت فيه انظارهم ، فلا يكون بدعا ان يرجح احد النظرين على غيره ، ويفصل فى المسألة بعدم التعويل على اختلاف المطالع لما تقدمنا من أسباب الترجيح .

ولأن الامام الشافعي الذى يقول باختلاف بدء الصوم باختلاف المطـــالع يوافق الائمة الثلاثة فيما اذا ثبتت الرؤية عند حاكم يرى أن لا عبرة باختــلاف المطالع ، فأمر به وابلغه الى أهل المطالع الاخرى ، كما حكاه عنه ابن حجر ، وارتضاه ، وبذلك يتقرر اجماع الائمة الاربعة على أن اختلاف مطالع القمر لا يعتبر شرعا ، اذا حكم الحاكم الشرعي ببدء الشهر ووجوب الصيام والافطار والحج والاعياد .

راى المختصين فى علم الفلك

ومن الخير ان ننقل هنا بعض ما كتب الاستاذ الشيخ محمد ابو العلا البنا ، مدرس الفلك بكلية الشريعة بجامعة الازهر ، بصدد بيان أن العلوم الفلكية تؤيد توحيد اول الشهر الشرعى بين الحكومات الاسلامية .

قال ان جميع الحكومات الاسلامية تقع ما بين شاطىء آسيا الشرقى وشاطىء افريقيا الغربى اعنى من خط ١٢٠ شرق جرينتش الى ١٥ غرب جرينتش مقدار ٩ ساعات من ٢٤ تتم دورة اليوم بقسميه الليل والنهار حول الارض من الشرق الى الغرب .

اذا علمنا ذلك تاكدنا ان بدء الدورة اليومية الاسلامية من هذا الخط يكون طبيعيا بالنسبة لبدء حكومات الاسلام من جهة الشرق فتجتمع كلها فى يوم واحد دون تفرقة . اذ يبدأ اليوم الاسبوعى والتاريخ للعالم الاسلامى كله من ابعد البلاد الاسلامية شرقا وهى الفلبين واندونيسيا والملايو قبل جرينتش بـ ٨ ساعات ، وقبل العراق والباكستان بـ ٥ ساعات ، وقبل مصر والسودان بـ ٦ ساعات ، وقبل تونس بـ ٧ ساعات ، وقبل مراكش التى هى ابعد البلاد الاسلامية غربا بـ ٩ ساعات .

ومعلوم أن تاخيراعلان وجوب الصيام او الافطار بقدر هذه الاجزاء من اليوم لا يقدح فى مشاركة جميع هذه الحكومات فى نفس اليوم والتاريخ . بمعنى انه لو فرض أن الهلال لم يتكامل لصلح للرؤية الا فى مراكش آخر الحكومات الاسلامية جهة الغرب . وفيها رئى وشهدت الشهود ، واثبت قاضيها الشهر ، وابرقت حكومتها بذلك الى جميع الحكومات شرقا ، وهى الفلبين واندونيسيا والملايو بعد المغرب فيها بنحو ٩ ساعات . بمعنى أن اذاعة الرؤية وثبوت الشهر من مراكش عقب مغربها انما تسمع فى اندونيسيا بعد مغربها هى بتسع ساعات ، اى قبل شروق الشمس فيها بثلاث ساعات ، ضرورة أن ليلها دائما ١٢ ساعة ، لوجودها على خط الاستواء تقريبا ، اعنى قبل الفجر عندهم بنحو ساعة ونصف ساعة . ومعلوم أن هذه المدة كافية لما يلزمهم من سحور وعقد النية على صيام هذا اليوم مع مراكش ، واما غير اندونيسيا من كل حكومة شرق مراكش كالعراق ومصر والجزائر فمن باب اولى ، واما وحدة هذا اليوم فى باقى بلاد الدورة من سطح الارض كامريكا فامرها ظاهر . اذ انهم وقت هذه الاذاعة من مراكش كانوا فى عصر اليوم السابق او فى ظهره او فى شروقه مثلا . وحينئذ يستقبلون هذا اليوم الجديد من اوله دون تغيير فى اسمه أو فى تاريخه .

واما اهل البلاد القطبية التى تتقدم فيها بعض علامات أوقات الصلوات اليومية لدوام النهار او الليل أكثر من ٢٤ ساعة فى بعض السنة ، فيقدرون بدء الشهر عندهم بزمن بدئه فى العواصم المشهورة على خطوط اطوالهم كخط طول القاهرة مثلا ، فالبلاد القطبية التى عليه تجعل مبدا الشهر عندها كاهل القاهرة .

للبحث بقية

من تنظيم اقتصادى للمجتمع ــ بين ما نسميه بلغة العصر : الحرية السياسية والحرية الاجتماعية ، لأنهما أصبحتا فى عصرنا ، جناحى الحرية الحقيقية وبدونهما أو بدون أى منهما لا تستطيع الحرية أن تحلق فى آفاق العدل المرتقب .

التكليف الثامن

قيد على المالك في توجيه ماله بعد الوفاة

فليس مالك المال فى المجتمع الاسلامى حرا فى الخروج على ما فرضه الشرع فى نظام الارث والوصية . واذا عصاها أبطل القضاء تصرفه الجائر ، ونفذ ولى الامر احكام القضاء .

وبعد فهذه جملة القيود التى فرضها الاسلام على الملكية الفردية . بدأ بفرضها على صورة تعاليم خلقية يذعن لها المسلم طائعا مختارا بتأثير عقيدته فى ملكية الله للمال ولكل ما خلقه فى الارض والسماء ثم فرض على المجتمع الاسلامى اقامة نظام حكومى يتولى ولى الامر فيه مسئولية تنفيذ تعاليم الاسلام الخلقية على كل من لم يذعن لهذه التعاليم بمحض اختياره واحاط هذا التنفيذ بقواعد وضوابط من شريعته تكفل جلب المصالح ودرء المفاسد واقامة موازين القسط والعدل بين الناس جميعـــا .

هداية الهية ، لو رعاها البشر لمـــا ظهر الفساد فى الارض ، ولا اشتعلت فيها حروب مدمرة ولا قامت فيها شيوعية جاحدة ولا رأسمالية باغية .

والآن أريد أن أنتقل الى بيان نظرية الاسلام فى الدعامة الثانية لكل تنظيم اقتصادى : « دعامة العمل » .

ولكنى أوثر أن أبدأ مباشرة فى الحلقة القادمة عن ملكية المال فى الاقتصاد الغربى وأرجىء الكلام عن الدعامة الثانية فى كل تنظيم اقتصادى : « دعامة العمل » .

ذلك لكى يبرز للقارىء الفارق الجوهرى بين الاقتصادى الاسلامى وغير الاسلامى ، وليرى أن القيود التى فرضها الاسلام على ملكية المال ليست قيودا بالمعنى الحرفى ، وليست أغلالا ينوء بحملها مالك المـــال ، بل هى ــ كلمـــا تأملنا فيها على ضوء ما يجرى فى العـــالم غير الاســـلامى ــ نعم أنعم الله بها على مالك المال ، نعم لا تقل فى شأنها عن نعمة المال ذاته الذى ســـخره الله لمالك المال . وأودعه بين يديه .

لقد سميناها قيودا ترد على حق الملكية ، وكان يصح أن نسميها دروعا تحمى ملكية المال أن تصير وبالا على مالك المال ووبالا على الانسانية جمعاء ، كما سيتضح لنا من عرض آثار اطلاق حق الملكية فى الاقتصاد الغربى .

ركائز التفكير الإسلامي

موقف العقل من الإيمان

وجود الله

أرجح أن الجدل بيننا الآن ، ليس عن وجود الله او عن عدم وجوده . فانك وأنت أستاذ الفلسفة ، لا بد ان تكون عند الحق من قول (فرنسيس باكون) « ان القليل من الفلسفة يبعد عن الله والكثير منها يرد الى الله » . والظاهر من كلامك انك تؤمن بأن الله هو خالق الكون ، ومؤمن — بالتالى ، وبالبداهة — بأن خالق الكون هو خالق النواميس ، وبأنه خالق الحياة ، وخالق الذباب ، الذى قال عنه القرآن ، فى سورة الحج (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز) وقد نزل هذا قبل أن يقول (روجر باكون) و (توماس اكويناس) بقرون طوال قوليهما المشهورين « ما من عالم قد عرف حتى اليوم حقيقة ذبابة » . .

وانما أنت تستصعب تصور الذهن لهذا الاله ، على طريقة القرآن الذى يقول عنه (ليس كمثله شىء) وتستشكل فى خلق الله لآدم من تراب ، وتقطع كل علاقة لله فى خلق الاجنة ، حتى تخرج من هذه الصعوبات والاستشكالات الى ما يكاد يكون الغاء لوجود الله . . وهذا ما يحيرنى فى أمرك . . والا فقل لى : كيف توفق بين كونك مؤمنا بأن الله خالق الكون ، وخالق الحياة ، وخالق الانسان ، وخالق النواميس ، وكونك تغفل — وأنت العالم الالمعى — عن تفسير آيات خلق آدم ، وخلق الجنين فى بطن أمه بأنها قد تعنى الخلق التطورى للخلية الانسانية بطريق النواميس التى خلقها الله ، مثلما قد تعنى فى الظاهر الخلق الدفعى المباشر ، مع أن كلا الخلقين داخل فى قدرة الله ، وليس احدهما بأدل على هذه القدرة والحكمة من الاخر . .؟

كان احد اساتذة الفلسفة في جامعة كبرى كتب يتساءل - كالمنكر - عن بعض آيات القرآن الكريم ، ثم يدعي ان التفكير الاسلامي المعاصر مشدود إلى الوراء شدا يمنعه من الانطلاق في آفاق العلم والمعرفة . فاجابه الشيخ نديم الجسر بجواب اوضح فيه ركائز التفكير الاسلامي القائم على (الحق) في باب العقل والعلم ، توضيحا امتاز به فضيلة الشيخ في مخاطبة الشباب والعلماء المتفلسفين بلغة العلم والفلسفة نفسها ، وقد رأينا - تقديرا منا لهذا البحث ان نضعه بين ايدي القراء الكرام وبخاصة الشباب منهم

الوعي الاسلامي

وموقف القرآن من العلم والمعرفة

للشيخ نديم الجسر
مفتي طرابلس - لبنان

ومهما يكن الامر ، فاننا لا نسوق الحديث اليك وحدك ، بل نسوقه الى من وراءك من الشبان العلماء الذين يؤمنون بوجود الله وبأنه خالق الكون ، ويرددون في صدورهم بعض الاسئلة التي طرحتها وأمثالها . والحوار مع هؤلاء لا يدور ، اذا ، حول وجود الله . وانما يدور الحوار حول القرآن الكريم وما فيه من آيات متشابهات ، يبدو لك ولهم - في الظاهر - انها تتناقض مع العقل أو مع العلم ، ويدور ايضا حول تفكير المسلمين في العالم المعاصر ، وزعمك انه مقيد ومشدود الى الوراء شدا يمنعه من الانطلاق والتلاقي مع التفكير العقلي العلمي الحديث .

فعلينا ، اذن ، أن نكشف تراب الظنون الباطلة عن ركائز التفكير الاسلامي ، لنرى ان كانت تتعارض مع العقل أم تعتمد عليه ، وتتنافى مع العلم - كما زعمت - أم تؤيده . وبهذا الكشف والتبيين يستكمل الرد على شكوكك وشكوك غيرك - مهما كان نوعها وموضوعها - حججه وبراهينه بدون تطويل ، ويصبح هذا الرد المركز الذي نضعه كالجعبة فيها السهام ، بل كخزانة الدواء في البيت ، تجد فيها العلاج لكل شك وزيغ .

ركائز التفكير الاسلامي

١ - القرآن والعقل :

ان القرآن يجعل للعقل السلطان الاعلى في ادراك كل معاني الحق والخير، من اتفه الامور كاماطة الاذى عن الطريق ، الى أعظمها وهو وجود الله وصفات كماله .

وفي القرآن أكثر من (٣٠٠) آية تدعو الى تحكيم العقل ، وتزري ازراء شديدا ، بالذين لا يحكمون عقولهم . وأبلغ هذه الآيات وأوجعها قوله (ان شر

الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) . وكل ايمان لا يبنى على العقل لا يعد من الايمان الكامل . اما (ايمان العجائز) فانما هو مقبول من باب العذر ورفع الحرج من العاجزين (١) .

والقرآن يكره الجمود على تقاليد الآباء والاجداد ، اذا كانت هذه التقاليد تناهض أحكام العقل القاطعة ، ويهزأ بهؤلاء الجامدين ، ويسخر من الخرافات والاساطير ، وليس فيه أسرار يحدث تصورها تناقضا عقليا فى الذهن . وكل نص فى القرآن يحدث تصوره ، فى الظاهر ، تناقضا عقليا فى الذهن يجب تأويله حتى يرتفع التناقض .

فالاسلام ، اذن ، هو الدين السماوى الذى يجعل « الجدل العقلى » الصارم طريقا للوصول الى الحق .

هذه حقائق يقينية مقررة ، حتى تكاد تكون معلومة من الدين بالضرورة . ومن جهلها أو أنكرها فهو جاهل لحقيقة القرآن والاسلام .

٢ ــ القرآن والحرية :

ان حرية الانسان ، فى نظر القرآن ، هى أمر طبيعى وضرورى وبديهى . وان حرية الفرد مطلقة الى آخر حدود الاطلاق ولا تقف الا اذا اصطدمت بالحق أو بالخير .

وهذا المفهوم الجامع ، كما أنه يشمل كل أنواع الحريات ، من حرية التفكير وحرية العقيدة والقول والعمل والتملك والتصرف ، فانه يشمل ، كذلك ، كل أنواع الحق والخير ، بالنسبة للفرد ذاته ، وبالنسبة لغيره من الناس ، وبالنسبة الى المجتمع . لا فرق ، فى ذلك كله ، بين أن يكون الفعل أو القول مباحا بذاته للفرد ، أو حقا من حقوقه المشروعة ، أو ضربا من القربات الى الله . فلو أسرف الفرد فى أكل الطيبات اسرافا مضرا بصحته انقلب المباح حراما ، ولو اسرف فى اساءة استعمال حقه وقف حقه ، ولو اسرف فى الزهد والتقشف والتبتل بل فى العبادة نفسها ، بل فى الصدقات والمبرات ، الى الحد الذى تصطدم عنده حريته بخير نفسه أو زوجه أو ولده أو وارثه أو المجتمع ، لانقلبت قرباته هذه كلها الى محظورات يمنعها القرآن (٢) .

٣ ــ القرآن والعلم :

ان القرآن يجعل لحقائق العلم الطبيعية القاطعة ، نفس القوة التى للحقائق الرياضية القاطعة ، أى نفس السلطان الذى للعقل . لأن العلوم الطبيعية انما

---

(١) يكاد الناس جميعا يتجهون فى فهم ايمان العجائز الى أنه الايمان التلقائى الذى لا يقوم على دليل أو تعقل .. فلماذا لا يفهم على أنه الايمان الراسخ الذى دعمته الدلائل وتجارب السنين حتى صار ثابتا لا يتزعزع وهنا يصبح رجاء لكل انسان « اللهم ايمانا كايمان العجائز » اذ لا يعقل ــ فيما ارى ــ أن يطلب المؤمن من الله أن يجعل ايمانه ايمانا غير قائم على دليل ولا تعقل ..

(الوعى الاسلامى)

(٢) تذكر فى هذا قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين « من سورة المائدة، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه من يريد أن يتصدق بماله كله فمنعه الرسول وأجاز له أن يتصدق بالثلث وقال له « والثلث كثير انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس » .

(الوعى الاسلامى)

هي انكشاف للنواميس التي خلقها الله في الكون ، فانكارها ، هو بالضرورة ، انكار للعقل الذي يدرك النواميس ، وانكار للذي خلق النواميس ، ومعارضة للقرآن الذي استدل ، في آيات كثيرة ، بهذه النواميس على وجود الله وقدرته . وهذه الانكارات تؤلف بذاتها تناقضا عقليا صارخا بين الايمان والعقل .

وليس صحيحا قولك (ان العلم الذي حث على طلبه الاسلام هو في جوهره العلوم الدينية والشرعية وما يتعلق بها وليس الفيزياء والكيمياء) . بل الحث عام يشمل علم الدين ، الذي هو أعظم العلوم وأنفعها للمجتمع ، ويشمل علم الطب ، وكل علم ينفع الناس والمجتمع . وليس ادل على ذلك من الآية ٢٨ من سورة فاطر ، التي يخلع بها القرآن وصف (الخشية الكاملة) على علماء الطبيعة ، ويكاد يحصرها فيهم حين يقول (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء) فهل العلماء هنا هم علماء الشريعة والفقه أم هم علماء الطبيعة العالمين بأسرار النواميس في الحياة والنبات والحيوان والمطر وطبقات الارض الذين يهديهم علمهم الى معرفة الله وخشيته .

٤ ــ القرآن ليس بموسوعة :

ولكن القرآن ليس بموسوعة للعلوم والفنون . وما فيه من الاشارات لبعض النواميس الطبيعية انما هو للتدليل على وجود النظام المحكم ، ثم الاستدلال الفعلي بهذا النظام على وجود الله وأما قول القرآن (ما فرطنا في الكتاب من شيء) فليس معناه أنه موسوعة لعلوم الاولين والاخرين ، كما يقول بعض البلهاء . بل معناه انه لم يترك أصلا من الاصول ولا مبدأ من المبادىء التي يرتكز عليها الحق والخير الا ذكره وبينه .

٥ ــ نهج القرآن في الخطاب :

ان اعجاز القرآن اللغوي لا يقوم على بلاغته المعروفة عند بلغاء العرب فحسب ، وانما يقوم أيضا على قدرة عجيبة في التعبير عن الحق بشأن النواميس الطبيعية والاجتماعية ، التي لم تكن معروفة للعرب أو معروفة للبشر ، ببيان يفهمه البدوي الساذج على قدره ، ويفهم اسراره المدهشة العالم أو الفيلسوف على قدره . لأنه ما كان لله العليم الحكيم ان يخاطب الناس بأمور تفصيلية لا يفهمونها ولا سمعوا بها ولا تتسع لادراكها معارفهم .

فاذا قال لهم سبحانه (والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه) سورة الحج الآية ٦٥ ــ أو قال لهم (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) الاسراء ١٢ ــ او قال لهم (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) الزمر ٥ ــ أو قال لهم (وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة) النمل ٦٠ ــ أو قال لهم (أفرأيتم النار التي تورون . أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) الواقعة ٧١ ــ أو قال لهم (ألم نجعل له عينين) البلد ٨ ــ أو قال غير ذلك من مئات الآيات الدالة على قدرته ، المشيرة الى النواميس التي وضعها في مخلوقاته ، فانه يقول لهم

البقية على صفحة ٦١

داعى أج

قم يامحمد جدد الاسلاما ... فالغدر في بلد العروبة قاما

زحف اليهود بجبنهم وبغدرهم ... وتبادروا يتقاسمون الشاما

وهناك في القدس الشريف تطاولوا ... وتألهوا واستعبدوا الأقواما

علمتنا الدين الحنيف كرامة ... فالله يمقت فيه الاستسلاما

يامعشر الاسلام ذلك دينكم ... جعل الحياة مع الخضوع حراما

هذى دياركم فموتوا دونها ... لاتتركوها للعدو مقاما

داعي الجهاد دعا الغداة جموعكم ... فتهيأوا واستنفروا النواما

وتخيروا للموت كل وسيلة ... ضل الذى حسب الجهاد كلاما

يافارس الأوهام حسبك جانيا ... أن تحصد الأضغاث والأوهاما

ان الذى طلب المكارم نائما ... وجد المكارم كلها أحلاما

يانائما ان الجهاد فريضة ... فوق الفرائض كلها تتسامى

أنعيش بين مضيع ومضيع ... وأخي العمى فينا ومن يتعامى

وحقائق الاسلام تسطع فوقنا ... وتشد في عليائها الأفهاما

جهاد

ان لم يقم للحــــق شعب مؤمن ... جعل الشهادة في الجهـــــاد مراما

أكلوه وهو على المذلـــــة نائم ... ورمـوه في عرض الطريق حطامـا

صنعوا لنـا الوهـم الكبير خرافة ... وتصايحوا واستجلبوا الأصنامـــــا

لوقام ذو الايمان مزق سترهـــم ... ورأي الدمى رفعت لها أعلامـــــا

ورأى البوارج خدعـــــة مكشوفة ... نصبت لتوحي الخـوف والايهاما

ورأي المدافع لعبـــة يلهو بها ... ورأي العساكر كلهـم أرقامـــــا

ورأي حمـــــاه اذ تصايح فوقه ... يغدو عليـه الغـاب والضرغامـا

حس الغريب وكيف يجـرؤ فوقه ... أن يستبيح له الغداة ذمامـــــا

والأرض فيـه لو تصايح أهلهـا ... صارت رجوما للعدا وقتامـــــا

والمـــاء فيه لو يقوم حمـــاته ... صــار الصديد على العدا والجاما

لله في اليوم الشـــــديد عساكر ... قد لاترى وتؤيد الاسلامــــــا

أنسيتم ؟ والفيـل في أصحـابه ... يرمون بيتا في الحجاز حرامـــا

كيف ارعوي والطـير في أعقـابه ... يرمي من الحجر الأصم سهامـا ؟

صوت من البصرة

شيخ البيان العربي

للدكتور عبد الرحمن عثمان
كلية اللغة العربية ــ جامعة الازهر

الامة العربية اليوم فى مستهل نهضة فنية ، فقد وضعت قدميها الثابتتين على الطريق الذى هداها اليه وعيها الجديد ويقظتها الكاملة ، ودفعها نحوه ما ذاقت من محن وخطوب بعد أن تنكبت عن الجادة فى ليل الاستعباد التركى والاستعمار الاوروبى ، واطار هذه النهضة المباركة هو الحياة العربية كلها ، وما يجد فيها من احداث ، ونظم اجتماعية ، ومناهج اقتصادية فنحن فى عصر تقوم نهضاته على أسس علمية وفنية دقيقة يحسب فيها لكل شىء حساب ، ولا مكان للمصادفة ولا الاحلام فى دور الانشاء والبناء ، بل هو اعداد واع ، وعزم لا يتردد ، فالنهضات فى عصرنا تعنى أشد العناية بالمواءمة بين الفكر الحديث والبناء الحضارى ، اذ لا بقاء للتقدم فى جيلنا الحاضر الا بسند من الفكر ، وحياطة ذكية من النضجين العقلى والعاطفى .

والاهتمام بالنتاج الفكرى والفنى اولى درجات التقدم الاجتماعى ، لأنه يدل على حياة متطورة تتجه بالوعى الشعبى الى آفاق فسيحة من العيش الكريم والمجد المأمول .



وما دمنا على أول الطريق فى بناء نهضتنا العربية فاننا فى حاجة الى الاتجاه بأفكارنا ومشاعرنا نحو الينابيع الثقافية الثرة ، بحيث يصير ــ منها واليها ــ غدونا ورواحنا ذلك لأن الثقافة تراث انسانى أسهمت فيه الامم والشعوب منذ أن درج الانسان على وجه الارض حتى عصرنا هذا ، فالثقافة على هذا الفهم بناء متكامل أو « كل » تداخلت أجزاؤه ، فقد اشتركت فيه عقول وعقول ، وأسهمت فى اقامته شعوب وأمم عبر التاريخ الطويل ، حتى كأن الثقافة حلقة مفرغة ، لا يدرى احد من أين تبدأ ، ولا أين تنتهى .

واقبالنا على الثقافة العالمية وحده فى مرحلة نهوضنا لا يحقق الغرض المنشود من تثبيت حياتنا الفكرية والحضارية ، فمما استقر فى المعقول وتحقق بالتجارب الحسية ان الاجسام لا تستفيد بالغذاء الا بعد ان تهضمه المعدة ، ثم يتحول اثر ذلك عصارة مفيدة تمد الاعضاء بالحركة ، وتعينها على تأدية وظائفها ، والامر لا يختلف بالنظر الى الاغذية الفكرية والشعورية ، بل ربما كانت الحاجة الى هضم المعارف قبل حشدها فى الفكر وتكديسها فى الشعور اشد وأمس . اذ لا بد من براعة فائقة ، وحذر شديد فى انتخاب الاغذية الثقافية المناسبة ، مع التأكد من مجانسة الوافد الجديد ، وما هو مركوز فى النفس المستقبلة من عادات وتقاليد وعقائد ، حتى يتم الامتزاج بينه وبين كل عنصر من العناصر التى تكونت منها هاتيك النفس ، وحينئذ تستطيع الامة الناهضة ان تضع طابعها « المحلى » على ما اختارته من ازاهير الثقافات المختلفة ، وبهذا تشعر أنها قدمت شيئا الى الفكر الانسانى ، بل تحس أنها اضافت جديدا الى الثقافة العالمية .

وبهذا الجهد الذكى استطاعت الامة العربية — فى العصر العباسى — أن تضع وسمها على ما لقفته من ثقافة الفرس والفراعنة والاغريق ، وعلى هذا النسق سار الرواد العرب اواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من امثال الامام محمد عبده والبارودى وحسين المرصفى وعلى مبارك ، فقد استطاعوا أن يعطفوا الشعور العربى الذى قبس من فن اوروبا الى الاضواء المتألقة فى تراثنا القديم ، تلك الاضواء التى ظلت محجوبة قرابة خمسمائة عام خلف ضباب العجمة التركية المتكاثف ، وبفضل هذه الرجعة الى القديم اعاد الشاعر الموهوب محمود سامى البارودى باشا ، الى الشعر العربى شبابه ، وتخلص الفن النثرى على يد الامام محمد عبده من قيود التكلف والاسفاف .



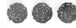
واذا كنا فى جيل أصيب — منذ أكثر من ربع قرن — بطائفة من طلاب الثقافة كفرت بماضيها الذى كان لها شرفا وعزة ، واستهانت بحاضرها الذى عاشت فيه قلقة مضطربة ، ويئست من مستقبلها الذى من شأنه أن يصوغ شباب الامة على مثاله .. فاننا قد نلتمس لها المعاذير بما شهدت من تخاذل فى المجال السياسى والاجتماعى أفقدها ثقتها فى نفسها ، وزين لها الانسلاخ عن الماضى ، والاستخفاف بالحاضر ، والعبوس للمستقبل ، بل ربما جرها إلى أن تتنكر لكل ما هو عربى ، ظنا منها أنها ستجد العوض والبديل فى رحاب الحضارة الغربية ، وعلى هدى ثقافة اوروبا ..!! ولهذا أوغلت فى تمجيد الافكار المستوردة حتى لو كانت تهدف الى جحد عالم الشعور جحدا يقوم على منطق الايمان بالمادة وحدها دون أى اعتبار آخر !

ولهذه الطائفة القلقة صولات وجولات ، تدور كلها حول هذا المذهب الفج ، وكنا نرى لهم من خلال ما كتبوا فقدان الثقة بأمتهم وبأنفسهم ، لأنهم جهلوا كل

شيء عن ماضي الامة العربية وخصائص النفس العربية ، واكتفوا بأن وضعوا أيديهم على أبصارهم ، فما عادت ترى مطالع الفجر العربى ، الذى بدأ يرسل اضواءه على أمة أخذت تستيقظ ، لتستحدث نهضة تفسح لها مكانا فى العالم المجد الي بلوغ أسمى غايات التقدم والرقى .

وظنى أن التماس المعاذير لأمثال هؤلاء السذج سوف لا يكلفنا الكثير ، فان معالم الطريق العربى الجديد ستجذبهم اليها ، بلافتات من الضوء ، الذى يخطف ابصار الشاردين عن سواء السبيل ، وينير بصائر المهتدين الى الصراط المستقيم.

فالعرب اليوم فى أول المرحلة ينشدون غايات لا تحدها غاية ، ومن عادة العربى فى أسفاره : اختيار الرفيق قبل الطريق ، فالرفيق مؤنس فى الوحشة ، وربما كان ايناسه بمثابة الحداء الذى يحيل وعثاء السفر الى رياضة تقبل عليها النفس أيما اقبال .



وسأختار للشباب العربى المنفلت الى غاياته حداة وسمارا نعرف لهم سحر البيان ، وعذوبة المنطق ، وصواب الرأى . وكمال الملكة ، فاذا ما لقنت اسماعهم شهى أحاديثهم التى لا تخلق جدتها جيلا اثر جيل ، اهتدى الى وجوده ، واستيقن انه يمضى فى طريق عربى لا ميل فيه ولا عوج .

والصوت الوافد من البصرة للشباب الناشىء هو صوت أبى عثمان الجاحظ ذى الصوت الحلو على أنه أجش ، وصاحب العقل الذى يحسن كل نوع من انواع المعرفة الانسانية . ان أبا عثمان يستطيع أن يصرفك بفكره عن نفسك . ويملك أن يحلق بك فى شتى الاجواء ، ويملك كذلك ان يدفع عنك همومك بظرفه وهزله ، فكأن مفاتيح النفس الانسانية قد اجتمعت اليه كلها ، فما يكاد يغلق منها بابا حتى يفتح من أبوابها ما يريد ..!!

ويعتبر الجاحظ بحق شيخ البيان العربى غير مدافع ، اذ هو فى الكتابة الفنية صاحب طريقة خلصت له ، وامام مذهب استحدثه فيها ، وجرى على سننه الكتاب من بعده ، وهو فى الكتابة العلمية ذو نهج فريد مبتكر ، سار عليه فى جميع مصنفاته الكثيرة الممتعة ، حتى صار الاسلوب طريقة الكتاب النابهين فى عصره وفى غير عصره ، وأصبح نهجه العلمى سمة ظاهرة على كثير من أمهات الكتب التى ظهرت فى أواخر العصر العباسى .

ولا يستطيع احد أن يزعم أن الاحاطة بفن الجاحظ ميسورة فى صفحات أو بضع مقالات ، وان كان له أن يزعم فى تردد غير قليل ، أنه يستطيع القاء أضواء على بعض جوانب من عبقريته النادرة ، عسى أن تكشف عن بعض منها ، فشيخ البيان عالم فسيح الجنبات ، أو هو نسيج وحده ، وأمة فى الادب والعلم على السواء .

وتلك كلمات على ايجازها تضم لمحات خاطفة مما يتصل بهذا العالم العربى الامام :

— ١ —

من المؤسف حقا أن تجىء الروايات متضاربة فى نسب الجاحظ على نحو ما جاءت فى نسب ابى تمام الطائى الذى كان يعاصره ، فهو عند محبيه والمعجبين به عربى صميم ، وهو مولى لدى حساده ومبغضيه .. ومهما يك من امر هذا الاختلاف الذى اظنه متصورا فى نسبه ، فان العرب يذكرون لأبى عثمان مواقفه الرائعة فى الدفاع عنهم ضد الشعوبية واحقادها ، كما يحمدون له بعثه التراث الادبى على النحو الذى تفخر به اللغة العربية ، وتعتز به فى تاريخها الطويل ، ويستوى فى هذا الجهد الكبير عندنا ، أن ينتسب الى قبيلة كنانة ، أو يكون مولى من مواليها ، ويكفيه فخرا انه : ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ ، وحسبه انه البحر الهادر والجدول المتدفق ، والعقل العميق ، والمزاج الرقيق ، وانما لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه ، ويلقب — لهذا — بالحدقى أيضا .

ولا يقدح فى نبوغ صاحبنا انه نشأ فقيرا يبيع الخبز والسمك فى سوق « سيحان » بالبصرة ، فقد استطاع بأدبه وعلمه أن يظفر بالتقدير والحب فى قصور الخلفاء ، وأن ينال المال على وجه كريم من كف : الخليفة ، والامير ، والوزير ، في عصور : المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل .
ومن الخير ان نقرأ ذلك للجاحظ نفسه حين يفخر به فى كتابه : « البيان والتبيين » .

يقول ابو عثمان : « ... ولما قرا المامون كتبى فى الامامة فوجدها على ما امر به ، وصرت اليه — وقد كان امر اليزيدى بالنظر فيها ليخبره عنها — قال لى : قد كان بعض من نرضى عقله ونصدق خبره يريد (اليزيدى) خبرنا عن هذه الكتب باحكام الصنعة ، وكثرة الفائدة ، فقلنا : قد تربى الصفة على العيان ، فلما رايتها ، رايت العيان قد اربى على الصفة ، وهذا كتاب لا يحتاج الى حضور صاحبه ، ولا يفتقر الى المحتجبين عنه ، قد جمع استقصاء المعانى واستيفاء جميع الحقوق ، مع اللفظ الجزل ، والمخرج السهل ، فهو : سوقى ملوكى ، وعامى خاصى » .

وحينما سال الجاحظ سائل : هل لك صنيعة بالبصرة ؟ اجابه : اهديت كتاب الحيوان الى محمد بن عبد الملك الزيات فاعطاني خمسة آلاف دينار ، وكتاب البيان والتبيين الى ابن ابى داود فاعطاني خمسة آلاف دينـار ، وكتاب الزرع والنخل الى ابراهيم بن العباس الصولى فاعطاني خمسة آلاف دينار ، فانصرفت الى البصرة ومعى صنيعة لا تحتاج الى تجديد ولا تسميد .

وسوف نجدد صحبتنا بالجاحظ فى المقال القادم .

التربية القرآنية (١)

إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم

الأستاذ على عبد العظيم
كلية المعلمين العليا ــ الجامعة الليبية

مقـــــــدمة :

فى أواخر القرن السادس الميلادى انحدرت الانسانية الى هوة سحيقة لم تعرف لها من قبل مثيلا ، فقد انقسم العالم المعروف فى ذلك الوقت الى دول متناحرة متدابرة والى حكام مستبدين طاغين يسوقون شعوبهم الى الحروب الطاحنة استجابة لشهوة القهر وتلبية لامتداد الحكم وسعة السلطان ، وكانت الامم مغلوبة على أمرها تساق كقطعان الاغنام الى المجازر الرهيبة لا دفاعا عن حق ، ولا نصرة لوطن ، ولا تثبيتا لعقيدة ، وانما ارضاء لشهوة حاكم مأفون ، واستجابة لأهواء حاشية منحلة ، واشباعا لجشع تجار الحروب وتلبية لغرور القادة المتجبرين وكانت كل أمة تنقسم الى طوائف عديدة يتحكم بعضها فى بعض وتستعلى طائفة منها على الآخرين .

وكانت الدولة الرومانية حاملة لواء الحضارة فى هذا الزمان أسوأ مثال للأخلاق المنحلة والضمائر العفنة التى طمسها الفساد والتشويه ، فقد أحرق أحد أباطرتها روما عاصمة الدولة ليتلهى بمنظرها وهى طعمة للنيران وكان ــ وهو يشاهد هذا المنظر الرهيب ــ يوقع على قيثارته شتى الالحان ابتهاجا منه بمنظر الاجسام المحترقة والبيوت المنهارة والخراب الشامل والفزع الذى يعتصر قلوب الرومان ، وبلغ من استهانة امبراطور آخر بالكرامة الانسانية أن هم باصدار مرسوم امبراطورى بتعيين حصانه عضوا بمجلس الشيوخ وهو أعلى هيئة تشريعية فى هذه الامبراطورية العظيمة ، وكان الاباطرة والحكام يجدون أكبر تسلّية لهم فى قذف العبيد أو المسجونين الى الاسود الضارية والفهود الشرسة ، ويجدون أعظم اللذة فى الاستمتاع بهذا المنظر الرهيب .

ولم تكن الامبراطورية الفارسية أحسن حالا من امبراطورية الرومان فالطبيعة الانسانية اذا انحرفت وصلت فى انحرافاتها الى مدى لا تتصوره

المعقول ، والمجال لا يتسع لضرب الامثلة على مدى ما وصلت اليهـا الفطرة الانسانية في هذا المجتمع من فساد وانحلال وحسبنا ان نذكر أن أحد حكام الفرس اصدر أمرا ملـكيا باستباحة الاموال والاعراض بحيث تصبح اعراض الرعية واموالها مباحة لمن يشاء بعد أن ينال منها نصيبه الموفور استجابة لدعوة «مزدك» الذي ادعى لنفسه النبوة وزعم أن هذه هي تعاليم السماء .

واذا كانت هذه الفوضى البهيمية هي مقومات أكبر دولتين متحضرتين في القرن السادس للميلاد فمـا بالك ببقية الدول والشعوب الغارقة في ظلمات الجهالة والضلال ؟

أما الديانات السماوية التي تهدي الى الحق وتدعو الى الرشاد فقد حرفها دعاتها من التوحيد الى الشرك ومن الحق الى الضلال ومن الاستقامة الى الانحراف . فاليهود والنصارى « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله » . وزعموا انهم « ابناء الله وأحباؤه » دون البشر اجمعين ، وجعلوا هذه العقائد السماوية مصدرا للربح وموردا للاستغلال واداة للاستعلاء وحرفوا وبدلوا « يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » ، « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى . تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » أما النار فقد زعموا أن الله اعدها لغيرهم من جميع الشعوب أما هم فانها لن تنالهم الا مسا خفيفا لأيام معدودة « وقالوا لن تمسنا النـار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون » .

ولقد جاء موسى عليه السلام بالتوراة فيها هدى ونور ولكن اليهود في حياته بعدما رأوا من الآيات البينات اعرضوا عن دعوته واستجابوا لشيطان الغواية حينما رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم وقالوا « يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون » وذهب لمناجاة ربه فاتخذوا من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار » وعكفوا على عبـادته ، واستمروا مع موسى في صراع رهيب ، حتى انتقل الى جوار ربه ، ففتكوا بمن ارسله الله اليهم من الانبياء ، واصبحت طبائعهم ممسوخة كطبائع القردة والخنـازير فكتموا ما أنزل الله ، واخترعوا طقوسا وثنية زعموها من عند الله « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنـا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » .

وبهذا شوهوا تعاليم التوراة ، واستحقوا ان يطبع الله على قلوبهم ، وان يمسخ عقولهم ، وان يضرب عليهم الذلة والهوان والخزي في الدنيا « ويـوم القيامة يردون الى اشد العذاب » وما الله بغافل عن هؤلاء المنحرفين ، « فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف .. واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما » (١) .

أما ثاني الديانتين المعروفتين في ذلك الزمان فهي المسيحية ، وهي في

---

(١) سورة النساء الآيات ١٥٥ ــ ١٦١ .

اساسها دعوة الى التوحيد ، والى الاخلاق الكريمة ، سواء كانت متعلقة بالافراد او الجماعات ، ولكن اتباعها حرفوها ، ومسخوا كثيرا من تعاليمها السامية ، فحولوها من التوحيد ، الى الشرك العجيب حيث زعموا أن المسيح عليه السلام ابن الله مقلدين فى هذا الزعم اليهود « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون » ونادى فريق من المسيحيين بالتثليث حيث زعموا أن الآلهة ثلاثة : الاب والابن والروح القدس وبعد جهود عنيفة وأبحاث عديدة حاول فيها زعماء المسيحية تقريب هذه الدعوى الى العقول انتهوا الى القرار التالي « نعبد واحدا فى ثلاثة ، وثلاثة فى واحد ، من غير جمع بين الاقانيم ، ولا تفرقة بينها ، لا نقول ثلاثة ازليون ، ولكن أزلى واحد ، ولا نقول ثلاثة قادرون ، بل قادر واحد ، على أن الاب فى حد ذاته اله ، والابن فى حد ذاته اله ، وروح القدس فى حد ذاته اله — ولكن لا نقول لنا آلهة ثلاثة ، بل اله واحد ، لأن الكنيسة تمنع من القول بأنهم ثلاثة ، وفى هذا الثالوث الثلاثة متساوون فيما بينهم وازليون » !! (١)

وحسبنا ان نعقب على هذا التناقض العجيب بقول فولتير الفيلسوف الساخر الشهير « انى لا أيأس من انه سيكون للانسان من الفهم بقدر ما يميز أن الواحد ليس ثلاثة ، وأن الثلاثة ليست واحدا » .

ومن العجيب أن الكتاب المقدس ليس فيه نص على عقيدة البنوة وليس فيه نص على عقيدة التثليث وما اشار السيد المسيح عليه السلام انه ابن الله وكان المسيحيون فى أول أمرهم يؤمنون بالوحدانية ويعتقدون ان المسيح عليه السلام بشر وأنه رسول من عند الله وأنه مجرد من العنصر الالهى وزعيم هذا المذهب هو آديوس العالم اللاهوتي الشهير ، وكانت كنيسة الاسكندرية تتبنى هذه العقيدة وظلت هذه العقيدة حتى تم عقد مؤتمر نيقيا سنة ٣٢٥ ميلادية وكان تساوسة هذا المؤتمر يدينون بعقيدة التوحيد ، ولكن القيصر قسطنطين تدخل فى هذا الموضوع وفرض عقيدة « أن المسيح ابن الله » ، فسادت هذه الفكرة ، وسيطرت على المسيحيين الا قليلا ، ثم تطورت الى ان المسيح هو الله ، او ان الله ثالث ثلاثة .

وقد أشار القرآن الكريم الى هذا التحريف فى كثير من آياته البينات قال تعالى : « لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار » وقال تعالى : « لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ، وما من اله الا اله واحد ، وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم » .

ولم يكتف رجال الكهنوت بهذا التحريف والانحراف بل زعموا لأنفسهم حق احتكار أبواب السماء فلا يلجها احد الا عن طريق وبوساطة ما يمنحونه من صكوك الغفران ، أما من يوقعون عليه الحرمان فقد أغلقوا فى وجهه ملكوت السموات ، فالمغفرة لا تتم الا عن طريقهم والتوبة لا تقبل الا بعد الاعتراف لهم ، والثواب والعقاب فى الآخرة مرهون بمشيئتهم ، وتفسير الكتاب المقدس وقف عليهم ، والمثل الاعلى عندهم هو الرهبانية وهى نظام انتحارى يجعل أصحابه يعيشون أمواتا وهم على قيد الحياة .

---

(١) كتاب تاريخ الديانات العامة للعلامة بيار رهم طبعة باريس ص ١٩٠ .

هذه حال اليهودية والمسيحية فى هذا الزمان ، وأسوأ منهما البقايا الملموسة لما سبقهما من ديانات سماوية لم يبق من أضوائها الا ومضات خاطفة كاد يمحوها الظلام .

اما التفكير الفلسفى وهو اسمى ما استطاع الفكر البشرى أن يصل اليه فقد حام فترة من الزمان حول الحقيقة المطلقة ولم يستطع جناحاه أن يحلقا به طويلا فى هذه الآفاق ، فالعقل البشرى — مهما تطلع وتشوف ونقب وبحث — محدود محصور المجال .

واعظم المدارس الفلسفية على الاطلاق هى المدرسة الاثينية ، وزعماؤها العباقرة هم سقراط وافلاطون وارسطو » سنة ٤٦٩ — سنة ٣٢٣ قبل الميلاد وقد اهتدى سقراط بتفكيره الفلسفى الى وجود الاله وآمن بخلود الروح وسلامتها من الفساد مع الجسد بعد الموت ، ولكنه تكلم تارة عن الاله وتارة عن الالهة ، وان كان ينزهها جميعها عن آلهة الاساطير الاغريقية ، ولا يرى للانسان عبادة مقبولة عن طريق الضحايا والقرابين وانما عن طريق خلوص النية وصفاء الضمير ، وهو — فى أسمى ما وصل اليه تفكيره الفلسفى — تلتبس عنده فكرة الشرك بعقيدة التوحيد .

وقد تابع أفلاطون استاذه سقراط فردد فى كتبه اسم الاله كثيرا ونعته بأسمى انواع العظمة والجلال ولكن تفكيره الفلسفى خلط بين وثنية الاغريق وعقيدة التوحيد ، فالوجود عنده طبقتان متقابلتان طبقة العقل المطلق وطبقة الهيولى ، وبينهما كائنات تسمو بمقدار ما تتصل بالعقل المطلق وتهبط بمقدار ما تتصل بالهيولى ، وهذه الكائنات بعضها ارباب وبعضها انصاف آلهة ، وبعضها من البشر ، والعقل المطلق عنده كمال لا يحده زمان ولا مكان ، ولا يصدر عنه الا الخير ، أما الكون فمصدره الكائنات المتوسطة لأنه حافل بالشرور .

اما الاله عند ارسطو فهو سرمدى ازلى كامل منزه عن النقص وهو علة العالم ، ولكنه يقرر أن العالم أزلى قديم لأنه صادر عن الاله القديم صدور العلة عن المعلول وقادته هذه الفكرة الى ان الله لا يعلم الموجودات لأنها أقل من أن يعلمها ، ولا يريد العالم لأنه لا يحتاج اليه ، وقاده هذا التفكير الى نفى الارادة والتدبير عن الله ، وقد دحض القرآن الكريم فيما بعد — هذا التفكير ، قال تعالى « الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين » وقال جل شأنه « يدبر الامر يفصل الآيات » وهو سبحانه « يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه » الآية — وقد انتكس التفكير الفلسفى بعد هذه الفلسفة ، وبخاصة فى عهد الابيقوريين الذين استغرقتهم مبادىء اللذات .

ومن جميع ما ذكرناه يتضح أن البشرية انحدرت فى القرن السادس الميلادى الى مهوى سحيق كادت تفقد فيه كرامتها الانسانية وفضائلها الروحية وتلتصق بالغرائز البهيمية وتصبح بين الانعام كالانعام او اضل سبيلا .

ان الحضارات القديمة أفلست كل الافلاس ، والديانات السماوية لحقها التحريف والتشويه وأصبحت وسيلة لمشروعية طغيان الحكام والرهبان ، والافكار الفلسفية التى انحدرت من مجالها المعنوى الى مجال تبرير الشهوات والاقبال على اللذات .

فلم يبق امام العالم كله من وسيلة للانقاذ الا قبس من السماء ينقذه من الظلمات الى النور ، ومن الضلال الى الهدى ومن البهيمية الى الروحية ، على ان يكون هذا القبس محفوظا بما يعصمه من التحريف والتبديل .

وهذه هى رسالة الاسلام .

« البحث بقيــة »

بين أسلوب القرآن .

الفرق بين الاسلوب التشريعي للقرآن الكريم .. وبين منطق القانون في فرض سلطانه على المجتمع .. هو الفرق بين روحانية الدين ، وجمود المادة .. أو بين مرونة المغزى ، وحرفية النص .. أو بين أعماق العواطف الانسانية ، وسطحية الظواهر الكونية .. وهذا ما تمليه طبائع الاشياء ، وتقرره حقائق الواقع الملموس .

فاذا كان التشريع الوضعي تعبيرا عن رغبات وافكار واضعيه ، وعاكسا ملامح الزمان والمكان الذي يعيش فيه ، وحاملا بصمات الثقافة والسياسة التي يسير في زمامها ، وطوع ارادتها .. فان القرآن الكريم في معالجته للشريعة قد استهدف سعادة الانسان أصيلة أبدية .. فهو معه في سره وعلانيته ، ودنياه وآخرته ، وفكره وارادته .. وهو يصوغ من مبادئه الخالدة دستورا للنظام والعمل ، مكيفا بحيوية متجددة ، ومزودا بطبيعة متطورة .. تكفل له النمو والاتساع في ظل الحق والعدل ومكارم الاخلاق كلما تعاقبت الازمان .

واذا كان القانون الوضعي قد اقتصر في نشاطه على علاج المفاسد داخل اطار المجتمع .. فان القرآن الكريم قد أضاف الى تشريعه بيانا مفصلا عن جوانب الخير والشر على السواء ، وعالج المفاسد بقدر ما أرشد الى المصالح .. فأمر بكل حسن وجميل ، ونهى عن كل شر وخبيث ، مراعيا حسن الأفعال وقبحها مما يفيض به منطق العقل السليم والطبع المستقيم .. مع ما استأثر الله بعلمه .. مما يعز على البشر الترقي اليه ، ولذا امتدت رسالته الاصلاحية الى زوايا الفرد ، وجوانب المجتمع ، فنظم علاقة الانسان بنفسه ، ومع خالقه ، ومع أخيه الانسان .

واذا كان القانون الوضعي في عرف الفقهاء القانونيين يعني كل نظام معين يتحدد به التصرف بعد أن يقترن به جزاء مباشر .. تقوم بتوقيعه السلطة الحاكمة .. أو من يمثلها .. في صورة عقوبة أو جزاء مدني ، ويسعى الى تحقيق السلام في ظل القوة التي يمثلها الجزاء المقترن بالقاعدة القانونية ..

.. فان القرآن الكريم يعتمد في بلوغ هدفه التشريعي على قوة الدفع التلقائي في نفسية المؤمن ، ويصوغ من البواعث الذاتية للمرء .. أداته لتحقيق

الاستاذ / محمد محمد الشرقاوي
المدرس بمعهد القويرى الفنى ـ ليبيا

ولغة القانون

اهدافه .. ويخاطب الضمير والوجدان والعقل .. قبل ان يرفع فوق الجسد سياط العقوبة فى الدنيا ، وشواظا من نار يوم القيامة .

ولذا كان نطاق الحساب فى القانون الوضعى لا يتعدى الاعمال الخارجة المتصلة بالغير .. اما نطاق المسئولية القرآنية فينتظم خوالج النفس المصممة ، وظواهر الحس الواقعة .. سواء منها ما كان مقصودا بذاته ، او كان وسيلة الى ذلك المقصود .

وفى ضوء ما تقدم نجد تباينا واضحا بين اسلوب القرآن فى توجيه أوامره ونواهيه .. وبين لغة القانون فى سوق موادها المنظمة للمجتمع .

فالقرآن الكريم قد تلونت أساليبه فى التشريع وتعددت أضواؤها البلاغية ، حتى صارت مثاليتها فى الذوق الادبى ، والجمال التعبيرى .. سر اعجاز القرآن ومناط التحدى به .. بما تشتمل عليه من ضروب القول ، وروائع المعنى ، وعمق الحكمة ، وسمو الغاية .. فلم يلتزم القرآن صيغة واحدة أو متقاربة فى التعبير عن مطالبه كما هو شأن واضعى القانون .. كما لم يتقيد بتكرار الفاظ ذات مفهوم اصطلاحى عند المشتغلين بالفقه والقضاء .. وذلك حتى لا يورث النفس مللا أو سآمة ، ويصرفها عن التأسى والقدوة والاعتبار .

.. والمتأمل فى تعبيرات القرآن المشوقة يراها متجددة متعددة ، باعثة على القبول وحب الامتثال .. تعمل على تذليل القصى ، وابانة الحق .. ومن هنا اكتسبت الاساليب القرآنية أثوابا قشيبة من التبشير والتذكير ، والوعد والوعيد ، والامتاع عن طريق الاقتناع ، وقد أدت المواعظ دورها فى أسلاس قياد النفس الجموح .. وترويض الطبع الناشز .. حتى تأخذ الارادة طريقها فى رفق وهوادة الى شاطىء السلام والاستقامة ، وتعزف عيوفة قالية عن طريق الانحراف والغواية .. فى ظلال أطياف ترف من جنات يبشر بها الطائعون ، وأشباح مخاوف تطل من افق الغيب على العصاة والمذنبين .

كل ذلك بأسلوب أخاذ أعجز أئمة البلاغة ، وتحداهم ان يأتوا بمثله أو بأقصر سورة منه ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

فحين صاغ القرآن تشريعه في جانب الاوامر .. ســــلك في التعبير عنه مسالك متنوعة ، وطرائق مختلفة . فمرة يستعمل صريح الامر في تقرير وجوب العمل كما في قوله تعالى : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى) (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها) (وأمر اهلك بالصلاة) (قل أمر ربى بالقسط) .

.. ومرة اخرى .. يدعو الى فعل الصالحات عن طريق الاخبار بالفرضية او الكتابة . (كتب عليكم القصاص فى القتلى) (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) (ان الصـــلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) (قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم) .

.. واحيانا يسوق التكليف في صـــورة عامة شاملة لكل مخاطب فتتناول الفرد ضمن المجموع . (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) .. واحيانا اخرى .. يوجهه الى صـــنف أخص بوصـــف مثل (وعلى الوارث مثل ذلك) بعد قوله تعالى فى شأن نفقة المرضـــــعات . (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) .

وطورا يعبر بنفس الصيغة التي وضعها اللغويون للطلب على ســــبيل اللزوم وذلك كفعل الامر ، والمضارع المقرون باللام . (واقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة) (اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير) (ثم ليقضـــوا تفثهم وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق) .

وطورا آخر يضفي على الفعل نعت الخير .. او البر .. او التوصـــيل الى البر . (ويسألونك عن اليتامى ، قل اصلاح لهم خير) (ولكن البر من اتقى) .. (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) .. وفي بعض العبـارات يســـــتخدم اسلوب الشرط ، ويرتب الواجب على فعل الشرط . (فان احصرتم فما استيسر من الهدى) .. (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) ومعنى آية الاحصـــار نقلا عن الكشاف . « ان منعتم من المضى الى البيت الحرام وأنتم محرمون بحج او عمرة .. فعليكم اذا أردتم التحلل ما اســـتيسر من الهدى من بعير او بقرة او شاة » ومعنى آية الانظار . « وان وجد غريم من غرمائكم ذو اعســـار .. فالامر انظاره وامهاله الى يسار » .

وفى بعض العبارات الاخرى يذكر الفعل المطلوب عقيب ذكر المكلفين او المكلفات . (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) .

قال صاحب الكشاف فى تفسيره هذه الآية « هو خبر بمعنى الامر ، واصل الكلام وليتربص المطلقات بأنفســـــهن ثلاثة قروء اى حيض ، واخراج الامر فى صورة الخبر تأكيد للامر ، واشـــعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمســـارعة الى امتثاله ، فكأنهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه بعد وجوده » .

فتلك نماذج من صياغة القرآن التشريعية فى قطاع أوامره ومطـــالبه ..

وعلى قدر ما فيها من تنوع فى الاسلوب ، وتجـدد فى الاداء .. جاءت نواهيه تحمل سمات متعددة الملامح .. متنوعة المذهب .. فمنها ما استعمل فيه النهى الصريح او التحريم البواح . (وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) .. (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين) .. (حرمت عليكم امهاتكم ..) .. (قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق) .

ومنها ما عبر عنه بصيغة الفعل المضارع المسبوقة بلا الناهية .. (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن) .. (ولا تقربوا الزنا ..) .

وفى بعضها يؤتى بمادة الامر الدالة على الترك والخطر . (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) .. (ودع أذاهم) .

.. وقد ينفى الحل عن بعض الامور فيكون هذا النفى تعبيرا عن النهى عنها .. (لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) . وهو نهى عن عادة جاهلية كانت تورث بها المرأة كما يورث المتاع وهى كارهة فكان الرجل اذا مات له قريب القى ثوبه على امراته ، وقال : أنا أحق بها من كل احد ، ومن هذا الاسلوب (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن) .

وقد يعبر بلا النافية عن تحريم الافعال . (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج) .

وقد يرفع البر عن الفعل ، أو يلصق به وصف الشر .. فيكون فى ذلك دلالة على حظره (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) .. (لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم .. بل هو شر لهم) .

وفى بعض الاساليب يقترن العمل باستحقاق الاثم أو العذاب فينتسب العمل الى الحرمة (فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه) .. (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم) .

ولم يقتصر الاسلوب القرآنى بألوانه البلاغية المتعددة ، وأضوائه البيانية المشرقة .. على صوغ الاوامر والنواهى فى رسالته التشريعية .. بل ان توجيهاته الاختيارية بالنسبة لحرية العمل ايجابا أو سلبا قد حملت ذلك الطابع المعجز ، وسرت فيها روح السلاسة والعذوبة .. والناظر فى تضاعيف التشريع القرآنى من تلك الزاوية .. يجد أن كلمة الحل .. قد استعملت بصراحة لتجويز بعض الاعمال .. فمن ذلك (أحلت لكم بهيمة الانعام) .. (واليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم) .. كما يجد لونا آخر للتعبير عن الاباحة .. وذلك فى رفع الجناح أو الحرج كما فى قوله تعالى . (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) .. أى اذا تخلفوا عن الجيش المحارب ، وقعدوا عن الغزو .. لمكان العذر منهم ، ومثل قوله تعالى . (والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ، وان يستعففن خير لهن) .. والآية الكريمة .. تأذن للنساء اللاتى بلغن من العمر حدا متقدما أن يتخففن من ملابسهن الظاهرة اذا احتجن لذلك لا بقصد الزينة

وابداء ما خفي منهن .. ومع هذا فلو آثرن التستر بالملابس والاحتشام في الازياء لكان خيرا لهن .. فقد عقب ذكر الجائز بالمستحب تمييزا لافضل الاحوال واحسنها (كما ذكر الزمخشري) .

ولقد ادى تنوع الاساليب القرآنية في مجال التشريع على هذا النحو البلاغي الرائع .. الى انعام النظر من المجتهدين في خصائص الاسلوب لاستنباط احكام فقهية متفاوتة .. فان كانت الصيغة تحمل طابع الحتمية .. نشأ عنها ما سماه الفقهاء فرضا .. او واجبا .. او ركنا ، وان رجحت جانب العمل على جانب الترك سموه سنة .. او مندوبا .. او مستحبا ، واذا اتجهت اتجاها عكسيا بالنسبة الى التحتم اطلقوا عليه .. الحرام .. وان اشعرت بتفضيل الترك على الفعل تولد عنها المكروه ، وان لم يستنبطوا منها امرا بفعل ولا نهيا عن ترك استخلصوا منها المباح .. او الجائز .. وهكذا تمخضت الاساليب القرآنية عن بلورة معينة في الاحكام .. فصارت خمسا . الفرض والسنة والحرام والمكروه والمباح .. وما كان لتلك البلورة ان تستكمل عناصرها الخمسة .. لو لم تتجدد تلك الانماط البلاغية في عبارات القرآن على هذه الانحاء التي تحمل في تضاعيفها ايحاءات تشريعية ، تحدد مطالب الشرع في دقة واحكام ، وترسل اضواءها على اهدافه في كل اتجاه .

واذا يممنا وجهنا قبالة تعبير القانون .. وجدناه ينحو بمواده المسلسلة نحوا متميزا بطابع فقهي عام لا يستهدف الا الوضوح من اخصر طريق .. ويتوخى الحد الادنى من الفصاحة .. ولا اقول البلاغة .. في تحديد الفاظه ، وتساوق معانيه .. فهو لا يلقي بالا لتحريك الهمم ، ولا يحفل بشحذ العزائم ، او تحريك الدوافع الشخصية في كيان الانسان ، وانما يجعل همه الاول والاخير في صياغته .. شحن المواد المرقومة بالفكرة القانونية .. في صورة يبدو فيها جمود اللفظ ، وحرفية النص ، ومن امثلة ذلك ما جاء في كتاب مرشد الحيران في المعاملات الشرعية على مذهب الامام ابي حنيفة رضي الله عنه .. خاصا بحكم مرور الزمان على الحقوق .

مادة ٢٥٦ — دعوى الدين ايا كان سببه لا تسمع على منكر الدين بعد تركها من غير عذر شرعي خمس عشرة سنة .. فان تركها المدعي بعذر بان كان غائبا مسافة القصر .. او كان صبيا او مجنونا وليس له ولي .. او وصي ، فانها تسمع .. ما لم تمض هذه المدة بعد حضور الغائب من سفره ، او بلوغ القاصر رشيدا ، او افاقة المجنون من جنونه .

مادة ٢٥٧ — الاستحقاق في الوقف من قبيل الملك المطلق فلا تسمع دعوى المستحق باستحقاقه على ناظر الوقف اذا تركها من غير عذر خمس عشرة سنة .

مادة ٢٥٨ — يعتبر ابتداء المدة المقررة لعدم سماع دعوى الدين المؤجل من تاريخ حلول الاجل لا من تاريخ عقد الدين ، ويعتبر مبدأ المدة المذكورة في دعوى المهر المؤجل من وقت الطلاق ، او من تاريخ موت احد الزوجين .

مادة ٢٥٩ — كما لا تسمع دعوى الدين ممن ترك المطالبة به من غير عذر خمس عشرة سنة فكذلك لا تسمع من ورثته بعد موته .

مادة ٢٦٠ — انما تعتبر المطالبة في مجلس القضاء لا في غيره ، فان طالب الدائن غريمه في مجلس القضاء ، ولم تنفصل الدعوى حتى مضت المدة

فانها تسمع بعدها ، وان طالبه فى غير مجلس القضاء مرارا فلا تعتبر مطالبته ، ولا تسمع دعواه بعد مضى المدة المذكورة .

مادة ١٦٦١ — اذا ترك بعض الورثة الدعوى بدين مورثهم من غير عذر خمس عشرة سنة وكان لباقى الورثة عذر بأن كان قاصرا .. فبلغ رشيدا تسمع دعواه على الدين بقدر حصته التى تخصه من الدين .

وهذه نماذج من القواعد المتعلقة بالنظام العام فى القانون المدنى المعاصر .

المادة ١٣١ — يجوز ان يكون محل الالتزام شيئا مستقبلا .. غير ان التعامل في تركة انسان على قيد الحياة باطل ، ولو كان برضاه .. الا فى الاحوال التى نص عليها القانون .

المادة ١٣٢ — اذا كان محل الالتزام مستحيلا فى ذاته كان العقد باطلا .

المادة ٤٢٧ — لا يجوز الطعن بالغبن فى بيع تم كنص القانون بطريق المزاد العلنى .

المادة ٧٨٤ — لا يجوز للوارث قبل ان تسلم اليه شهادة التوريث المنصوص عليها في المادة ٩٠١ أن يتصرف فى مال التركة .. كما لا يجوز له أن يستولى على ما للتركة من ديون .. أو ان يجعل دينا عليه قصاصا بدين التركة .

المادة ٩١٦ — كل عمل قانوني يصدر من شخص فى مرض الموت ويكون مقصودا به التبرع يعتبر تصرفا مضافا الى ما بعد الموت وتسرى عليه أحكام الوصايا .. ايا كانت التسمية التى تعطى لهذا التصرف .

المادة ١٠٣١ — لا ينعقد الرهن الا اذا كان بورقة رسمية .

المادة ١٠٣٤ — يقع باطلا رهن المال المستقبل .

وبعد ..

فقد ظهر من المقارنة السابقة بين اسلوبى القرآن ولغة القانون فى مجال التشريع ان كلا منهما ينحو في تخطيطه التنظيمى نحوا متميزا بطابع خاص فالقرآن الكريم يعتمد فى طريقته الالهية .. على توليد البعث الذاتى فى نفسية الجماهير ، عن طريق التدبر .. والتعقل .. وادارة الفكر فيما خلق الله من شىء ، وتوجيه النظر المنصف الى اختيار الحق والخير فى المعركة الازلية الابدية بين الفضيلة والرذيلة وعن هذا السبيل وحده .. تبرز الافكار الى حيز الوجود ، وتوضع المعانى السامية موضع التنفيذ .. ثم يأتى تطبيق الحاكم عملا مكملا ومؤكدا .. اما القانون .. فانه لا يأبه لتحريك العواطف .. او تنبيه الافكار .. او اثارة عوامل الانفعال النفسى بقصد التأثير فيها ايجابا او سلبا .. وانما كل همه .. أن يفرض نظامه فرضا على الهيئة الخاضعة له .. بلغة روتينية لا تكاد تبلغ درجة الفصاحة .. ولذا يبدو فى نظر الجماهير وكانه قدر دخيل عليها .. أو مفروض فوقها .. ولولا قوة الجزاء .. وسلطة التنفيذ لما واتته امكانية التطبيق ..

وهذا على العكس من الاعجاز البيانى .. والسحر البلاغى الذى يتميز به القرآن الكريم .. والذى يستهوى التالى والسامع الى معاودة تلاوته .. المرة تلو المرة بحيث يستشعر حلاوة مجددة .. مع كل تلاوة مرددة .. يستسيغها الصغار والكبار والشيب والشباب ، والمرأة والعامة .. ويجد فيه كل منهم غايته المرتجاه ، وطلبته المنشودة .. وصدق الله تعالى حين قال : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » .

ورقات من تاريخ النكبة

يوم الاثنين الواقع في ٧ جمادى الثانية من سنة ١٣٨٧ هـ (١١ ايلول ١٩٦٧ م) زرت الشيخ علي شيخ العرب في بيته بطرابلس الشام برفقة اخي فؤاد الولي استاذ التاريخ بكلية التربية والتعليم في المدينة المذكورة ، فتلقانا الشيخ بما فطر عليه من ادب اسلامي عريق ، مقبلا علينا مستندا الى عصاه ، يستعين بها على مساعدة كاهله لحمل السنوات التسعين التي ادركها عمره المديد ان شاء الله .

كانت هذه الزيارة بقصد الافادة من معلومات الشيخ علي شيخ العرب عن المدارس الدينية الاثرية في طرابلس الشام ، ذلك بانه كان الى امد قريب مسئولا عن هذه المدارس في دائرة الاوقاف الاسلامية في المدينة المذكورة . لذا فانه ، من غير شك ، وبالاضافة الى ثقافته الشخصية ، يعرف الشيء الكثير عن هذه المدارس ، تاريخها وبانيها وواقفها والذين تناوبوا على نظارتها والتدريس فيها .

بيد أن الشيخ بارك الله له في صحته وعمره ، بادرنا بالحديث عن ذكرياته التي علقت بذهنه الوقاد خلال خدماته السابقة في الوظائف الدينية ، والسياسية ، والعسكرية ، سواء في العهد العثماني أيام عبد الحميد الثاني ، أو أثناء حكم الاتحاد والترقي ،أيام محمد رشاد الخامس ، أو في العهد الفرنسي وما تلاه بعد

ذلك ، بعد زوال الانتداب عن سورية ولبنان ، على اثر الحرب العالمية الثانية .

وشيخنا الفاضل الشيخ على شيخ العرب ولد سنة ١٨٧٩ م وتدرج فى اول عمره بالوظائف الحكومية فى مختلف اجهزة الدولة العثمانية ما بين دينية وعسكرية وسياسية وادارية ، مما اتاح له التنقل عبر البلدان التى كان يظلها تاج بنى عثمان فى حينه ، كما هيأ له هذا التنقل الاطلاع على الوان مختلفة من الشعوب ، بعاداتها وتقاليدها واعرافها .

ورافق حفظه الله ، تطور الحضارة من ظلمات القرون الماضية الى المركبات الفضائية فى العصر الحاضر . فركب الجمل والحصان والبغل والحمار ، كما ركب القطار والسيارة والطيارة ، وتنقل بين البحار فوق البواخر التجارية ، والعمائر الحربية والغواصات ، وانه اليوم يركن الى جهاز التليفزيون حيث تنقله الشاشة الى آخر تطورات الابداع البشرى لتتركه يربط ما بينها وبين أخيلة الماضى ، التى تزدحم فى خاطره ، بعد أن اصبحت هذه الاخيلة ملكا للتاريخ . قال :

ــ لقد كنت مفتش اسطول فى العهد الحميدى ، ثم مفتش اسطول قبيل الانقلاب (١٩٠٨ م) ثم مديرا للاستخبارات العربية مع دولة القائد أحمد جمال باشا ، ثم رئيس المجلس الادارى بالاوقاف الاسلامية بطرابلس . ثم ها أنذا بين يدى التسعين من عمرى تجدنى معتكفا فى بيتى ، الملم من ذاكرتى ما أدونه من الحوادث والاحداث التى مرت بى فى مختلف مراحل حياتى ، لتكون تحت تصرف الناس ، علهم يجدون فيها عبرة أو تذكرة مما ينفع أولى الالباب .

ثم اطرق الشيخ شيخ العرب صامتا لا يتكلم ، وكأنى به قد عاد بفكره الى نصف قرن مضى وزده بضع عشرة سنة ، ثم رفع هامته واردف يقول لى :

كأنى بك تريدنى على التحدث فيما انتهت اليه الحال بالاسلام والمسلمين ، بعد الذى أصابهم من الذل والهوان بفلسطين . وعن مقدمات ما صرنا اليه من نتائج ؟

قلت : أجل يا فضيلة الشيخ ، فان ابناء جيلنا الذين كتب عليهم أن يعيشوا هذه الحياة ، قد غشيت أفكارهم معلومات كاذبة ، شحنها الغرب بالأضاليل ، تمهيدا لما أوقعنا به من أحابيل ، لاسيما فيما يتصل بموقف السلطان عبد الحميد الثانى ، الذى كان آخر الحصون التى دافع بها الاسلام عن وجوده العالمى ، وبعد انهياره تحت مؤامرات الغرب وربيبته الصهيونية اضطرب هذا الوجود ، وأخذ العرش الذى رفع سادنوه راية محمد صلى الله عليه وسلم ٦٠٠ سنة أخذ يترنح تحت الجالسين عليه ، ابتداء من السلطان محمد رشاد ، حتى سقط مقضيا عليه

هو والسلطان محمد وحيد الدين ، ثم زال نهائيا مع آخر سلاطين بني عثمان والسلطان عبد المجيد خان سنة ١٩٢٣ ميلادية حين الغى مصطفى كمال باشا السلطنة ، ثم الخلافة ، ليتمكن من ابعاد شرور اوروبا عن البلاد التركية يوم ذاك .

عرض يهودي

ثم قال الشيخ شيخ العرب :

— كان ذلك سنة ١٩٠٢ ميلادية ، ونحن في اسطمبول عاصمة الخلافة الاسلامية . وفي قلب قصر يلدز قصر السلطان خليفة المسلمين بالذات .

العبد الفقير ، والى جانبي الشيخ محمود الجيزاوى امام جامع العرب فى دار السعادة ، واذا بثلاثة من اليهود يطلبون مقابلة مولانا امير المؤمنين السلطان عبد الحميد الثانى . ولما كانت مثل هذه المقابلة تخضع لاصول التشريفات المتبعة فى القصر السلطانى ، فقد استقبلهم بادىء ذى بدء تحسين باشا رئيس كتاب السلطان ، مستوضحا منهم غرضهم من هذه المقابلة ، وكان هؤلاء الثلاثة اليهود هم :

١ — مزراحي افندى — مدير احد البنوك .

٢ — جاك — لم اعد اذكر باقي اسمه .

٣ — ليون — لم اعد اذكر باقي اسمه .

وعلى الرغم من ان هؤلاء الاشخاص اصروا على الانفراد بمولانا السلطان ، الا ان تحسين باشا اقنعهم باستحالة مثل هذا التصرف ، وان باستطاعتهم البوح بما يريدون اليه شخصيا ، وهو ينقله بالحرف الواحد الى صاحب الجلالة الخليفة فلم يجد اليهود الثلاثة بدا من قبول الامر الواقع ، والنزول عند رغبة تحسين باشا الذى استمع اليهم يقولون :

ان اليهود مستعدون ان يقوموا :

اولا — بوفاء جميع الديون المستحقة على الدولة العثمانية .

ثانيا : بناء اسطول لحماية الامبراطورية العثمانية .

ثالثا : تقديم قرض بخمسة وثلاثين مليون ليرة ذهبية دون فائدة لانعاش مالية الدولة ، وانماء مواردها وذلك مقابل :

اولا : اباحة دخول اليهود الى فلسطين فى اى يوم من ايام السنة للزيارة .

ثانيا : السماح لليهود بانشاء مستعمرة ينزل بها ابناء جلدتهم الى قرب القدس الشريف اثناء وجودهم فى فلسطين للزيارة .

جواب الخليفة

ونقل رئيس الكتاب تحسين باشا الى سيد القصر ما سمعه من اليهود الثلاثة ، وما لبث ان سمع من الجالس على عرش الخلافة الجواب التالى :

— تحسين . قل لهؤلاء اليهود الوقحين ما يلى :

اولا : ان ديون الدولة ليست عارا عليها لأن غيرها من الدول مثل فرنسا هي الاخرى مدينة ، وذلك لا يضيرها .

ثانيا : ان بيت المقدس الشريف قد افتتحه للاسلام اول مرة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولست مستعدا لأن اتحمل في التاريخ وصمة بيعها لليهود ، وخيانة الامانة التي كلفني المسلمون بحمايتها .

ثالثا : ليحتفظ اليهود بأموالهم ، فالدولة العلية لا يمكن أن تحتمي وراء حصون بنيت بأموال اعداء الاسلام .

واخيرا مرهم فليخرج هؤلاء من عندى ، ولا يحاولوا بعدها مقابلتى او الدخول الى هذا المكان ابدا .. »

وتابع الشيخ شيخ العرب كلامه معي ، وقد اخذته الحمية الدينية

وتملكته رغبة عميقة لتصحيح الوقائع التى اريد بها تشويه سمعة السلطان عبد الحميد الثانى ، تابع كلامه قائلا : ثم اني علمت بأن السلطان عبد الحميد ارسل على التوالى ناظر الداخلية فى عهده : ممدوح باشا بأن يطلب بالشيفرة الى رءوف باشا متصرف القدس ليقوم هذا بالتحرى عن اليهود فى فلسطين ، ولاسيما القدس الشريف ولا يبقي فى الارض المقدسة أيا من الطائفة اليهودية غير الذين قدموا اليها بقصد الزيارة العابرة والا يسمح لهم بالمكوث فيها الا بمقدار هذه الزيارة ، ثم تابع شيخ العرب حديثه المتهدج برنة مثقلة الجرس بآلام الذكريات .

(وفى سنة ١٩٠٨ نجح اليهود باخراج جمعية الاتحاد والترقى الى ملعب أهوائهم السياسية ، وقد كانت هذه الجمعية القناع الخارجي الذى تقنعت به جماعة الدونما (المتظاهرين بالاسلام من يهود اسبانيا الذين اتخذوا من مدينة سلانيك مقاما لهم ، بعد فرارهم من محاكم التفتيش التى نصبها ملوك تلك البلاد لمخالفيهم فى العقيدة الدينية سواء من المسلمين او من اليهود) .

ونزل السلطان عبد الحميد الثانى عند طالبى (الحريات الدستورية) واعلن ما سمى بـ (المشروطية) .

بيد ان غاية اليهود لم تكن المشروطية بما فيها من نص على الحريات العامة ، وانما كانت غايتهم ازاحة عبد الحميد من طريقهم للوصول الى فلسطين ، بعد أن تبين لهم أن هذا السلطان سيبقى وجوده حائلا دون تحقيق اغراضهم العدوانية على الارض المقدسة ، ولهذا فانهم تمكنوا من رشوة بعض رجال الدين ، واوعزوا اليهم بالخروج فى الشوارع والمناداة (بتطبيق الشريعة المحمدية) وهو ما سمي يومئذ بحركة (الارتجاع) قاصدين من وراء ذلك احراج السلطان ، ودفع الاتحاديين الى الثورة عليه ، والتخلص نهائيا منه ، تمهيدا للتخلص من الاسلام نفسه .

مؤامرة خلع السلطان

وقد آتت هذه الحركة (الارتجاعية) اكلها الشهية بالنسبة لليهود مع الاسف ،وتم لاعداء الاسلام ما ارادوا فقام الجيش بحركته الحاسمة متقدما نحو يلدز بخيله ورجله ، طالبا ازاحة العرش من تحت سيده الذى رفض النزول عند مغريات اليهود ، لتحقيق مطامعهم في اولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، وفى ٧ مارس آذار ١٩٠٩ تقدم الى رحاب القصر المنيف (يلدز) ثلاثة من اعيان البلاد العثمانية وهم :

١ — عارف حكمت (ياور وفريق بالبحرية) .

٢ — مزراحي افندى فراصوه (اياه) عضو اعيان .

٣ — ارستيدي باشا (رومى) وزير النافعة سابقا .

ثلاثة أعيان ، مسلم ماجور ، ويهودى حقود ، وروسى موتور .

دخل هؤلاء على السلطان الذي استقبلهم بما عرف عنه من هيبة ورجولة وكبرياء . وكانت وقفتهم بين يدي مولاهم على أبشع ما يكون من قلة الادب وجفاف ماء الوجه ، غير انهم امام عظمة عبد الحميد وقوة شخصيته لم يسعهم الا التظاهر باللياقة والاحتشام .

عارف حكمت ، أخذ لمولاه التحية الرسمية بكل ادب واحترام . عندما تذكر هذا الضابط المسلم فى ساعة من ساعات يقظة الضمير انه فى حضرة ولي أمر المسلمين الذين هو احد ضباطهم .

واما اليهودي ، القذر ، فقد مد يده بكل وقاحة الى جلالة السلطان الاعظم وفيها وثيقة الخلع من الولاية الشرعية . بينما بقى ارستيدى

الرومي ساكنا في وجوم ، كأنه من غير أبناء هذه الدنيا .

رد السلطان عليهم

وهنا قطع السلطان الوقور حبل الصمت المهيب بلهجة الحاكم الواثق من نفســـه موجها كلامه الى الذين وقفوا باهتين بين يديه :

ــ هل انتم من الاعيان ؟

فاجابوا : نعم ..

تابع الســـلطان كلامه التقريعي اليهم :

ــ ومن عينكم في الاعيان ؟

فســـكتوا جميــعا ولم يحيروا جوابا ..

عندها التفت الســـلطان كالجريح من قشاعم النسور (أى المسن منها) ووجه كلامه الى عارف حكمت قائلا :

انت ؟ الم تترب في هـــذا القصر يتيمــا (فقد كانت أم عارف المذكور احدى الخادمات بالقصر السلطانى) ثم ادخلتك المدرســـة البحــرية العسكرية ، ثم ارسلتك الى اوربا ، حتى تخرجت برتبة اركان حرب ؟

وتابع السلطان كلامه الى عارف بسخرية جديرة بان تقتل من يتلقاها ، لو كان عنده مثقال ذرة من كرامة .. فمهمتك التى جئت بها لا باس بها !

والتفت جلالته الى ارســـتيدى الرومى (النصرانى) قائلا : (مـــن جعلك مستشارا للمالية سابقا ، ثم وزيرا للنافعة ثم عضوا في الاعيان ؟) قال ذلك بلهجة كلها توبيخ وتبكيت ، وقال اخيرا لليهودى مزارحى كلاما ذكره فيه يوم جاءه من سنوات ست بطلب الســـماح لليهود باحتـــلال فلسطين ، مقابل ثمن يدفعونه لامير المؤمنين .

وكان السلطان اراد افهام اليهودى الوقح بان هذه الوقفة التاريخية التى تحمل خلع امير المؤمنين فى لحظاتها الحاسمة ، انما هى صـــدى لتلك الوقفة التاريخية الســـابقة ، التى انكفا فيهـــا اليهود على اعقـــابهم مذمومين مدحورين امام صـــلابة السلطان فى الدفاع عن حرم الله وبيته المقدس فى فلسطين !

ولكم كانت كلمات الســـلطان المظلوم قوية وبليغة وهو يتلقى خلع ولايته من امرة المؤمنين عـــلى يد اثنين : احـــدهما نصرانى يونانى ، والآخر يهودى صـــهيونى ، ومعهما ذلك المســـلم الذى كان الى جانبهما كالطرطور فى مؤخرة بردعة الحمار .

وكان ختـــام حديث الســـلطان الجـــريح قوله للذين اقتحموا عليه حرمته :

(ان مجيئكم لتبليغ سلطان الدولة العثمانية ، وخليفة المســـلمين قرار الخلع عمل سيندم عليه من ارسلكم به ..) .

ودون أن يمد يده الى اليهودى ، ليأخذ منه ورقة التبليغ ، التفت الى ياوره (على جودت) (الذى ظهـــر فيما بعد أنه من الاتحاديين) وأمره بأن يأخذ الورقة من اليهودى ، وأن يستلمها منه ، ثم يسلمها بعد ذلك لابنته عائشة سلطان (التى ما تزال تحتفظ باوراق « عبد الحميد » وهى ما تزال على قيد الحياة ، وتقيم فى تركيا بعد أن تركت سويسرا حيث كانت من قبل . ولعائشـــة المذكورة كتـــاب على جانب عظيم من الاهمية عنوانه : (بابام عبد الحميد) (أى : ابى عبد الحميد) .

هذه المحاولة التى قام بها اليهود لدى الباب العالى ، فى دار السعادة فى اســـطمبول ، لم تكن يومها ســـرا محجوبا عن المتتبعين للنشـــــاط الصهيوني المسعور ، سواء في اوربا

او فى آسيا . فلقد أشارت اليه اقلام الكتاب ، وبعض الجرائد والمجلات مما كان يصدر فى أواخر القرن الماضى ، وأوائل القرن الحالى .

ومن ذلك ما نشرته مجلة المشرق ، اذ قالت هذه المجلة الكاثوليكية الكبرى فى الصفحة ١٠٩٤ من المجلد الثانى الصادر سنة ١٨٩٩ ما يلى :

« لما كان اللورد غوش الاسرائيلي سفيرا بالآستانة عرض على الحكومة السنية ان يجعل تلك النواحى (جلعاد ومؤاب فى عبر الاردن) التى مساحتها نحو ستماية الف هكتار مستعمرة لليهود ، تحت نظارة الباب العالى ، يسوسونها كما يشاءون ، بشرط ان يدفعوا لمولانا السلطان مبلغا عظيما من الدراهم لا يقل عن بضعة ملايين من الفرنكات .

غير ان الدولة السنية لم تلب دعاء غوش واغنياء اليهود ، فذهبت آمالهم ادراج الرياح ، وكانت غايتهم ان يمهدوا الطريق لابناء جلدتهم لانشاء مملكة مستقلة بالاراضى المقدسة كما كانت قبل المسيح) .

ويظهر ان محاولة غوش التى اشارت اليها « المشرق » ، وهى سابقة على محاولة اليهود الثلاثة ، الذين اشار اليهم الشيخ شيخ العرب فى مذكراته ، يظهر أن هذه المحاولة نبهت المسلمين ودار الخلافة العثمانية الى ما وراءها من الاخطار الجسام ، فبادرت جرائد الاستانة العلية الى توجيه أنظار الحكومة والاهالى الى الاحتراز من تلبية مطالب اليهود ، وعدم تمكين هؤلاء اللصوص من التسلل الى فلسطين ، والقدس الشريف بالذات ، فنشرت جريدة المعلومات ونقلت عنها جريدة ثمرات الفنون ، فى الصفحة ٣ من عدد صفر رقم ١٣١٧/١٢٣٤٠ و ١٢ حزيران ١٨٩٩ ما يلى تحت عنوان :

(اليهود فى سورية وفلسطين) .

لليهود ميل شديد تقادم فيهم لمجاورة القدس ، لأن تلك الاقطار كانت مهدا لاعتلاء مجدهم فى الازمنة الغابرة .. وقد جذبتهم معتقداتهم الدينية الى لحد مجد اسلافهم ، فعزم الكثيرون منهم على المهاجرة الى انحاء القدس ، وتوطن فريق منهم فى تلك الجهات ، وصار لهم قسم كبير من الاراضى ، وما زال الكثيرون يرغبون بالهجرة وشراء الاراضى ، وهذا مما يضر بصوالح الدولة والامة معا ، اذ تصبح القدس فى يوم من الايام وهي بيد اليهود فقط (لقد اصبحت القدس فعلا بيد اليهود فقط بعد ثمانية وستين عاما من كلام الجريدة مع الاسف الشديد ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم) فيتفشا من هذا مسائل جمة . ولا تخفى اهمية القدس الدينية لانها ثالث الحرمين الشريفين . وتتابع الجريدة كلامها قائلة :

(لقد سمعنا ان الدولة شعرت بالخطر ، فاصدرت امرا الى متصرف القدس ، حظرت فيه بيع الاراضى الاميرية الى اولئك المهاجرين ، كما نصحت الاهالى بان يحافظوا على اراضيهم والا يبيعوها لليهود ..) .

وانى لأخال هذه الكلمة كانها اول صيحة بانذار المسلمين مما انتهوا اليه اخيرا ، وهى صيحة تلتها الوف اكثر منها تحذيرا وتذكيرا وانذارا ، ولكن المسلمين تصاموا عن الاصغاء اليها ، واغمضوا عيونهم عن النظر الى عواقبها ، فاصبحوا اليوم ينظرون الى قبة الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى المبارك ، وهما فى اسر اليهود ، وايديهم قاصرة عن الثأر لكرامة الامة والدين .

(البحث بقية)

الفضائح

الكامنة بين دفتي التوراة

للأستاذ : عابد توفيق الهاشمي
المدرس بكلية الشريعة ، بغداد

مقدمة البحث ..

لليهود — أشد الناس عداوة لنا — صفات ثابتة لا تتغير في كل زمان ومكان . القرآن الكريم بين أيدينا يحدثنا عنهم الكثير ، ويثبت لهم صفات واحدة ، وذلك التاريخ قديمه وحديثه يجسد تلك الصفات واقعا واضحا للعيان ، وهذه الاحداث الاخيرة المفجعة وضحت الصورة وشفت عن نفسية اليهودي كما حدث عنه القرآن الكريم والتاريخ .

لقد حيرني التماثل القائم بين اليهود المشتتين في الآفاق — تماثلا في الاخلاق والنفوس والصفات — لا يختلف يهودي المشرق عن يهودي المغرب ، ولا يهودي القرون الخالية عن يهودي القرن العشرين ، فقمت ابحث عن السر في هذا التماثل العجيب في نفسية اليهود ، فانطلق بي الخيال يهيم في أجوائه ، ثم استقل بي العقل يبحث في مجالاته فاستوقفني اسم اسرائيل — نبيهم الاكبر يعقوب — الذي تتسمى به دولتهم الباطلة وذكرت لغتهم الحالية — العبرية — لغة كتابهم التي طمست معالمها منذ آلاف السنين فأحيوها وذكرت القدس — مكان الاسراء والمعراج — وتغيير اليهود اليوم اسمها كما في كتابهم (أورشليم) ، وذكرت تمسك كل يهودي بيهوديته حينما كنت أسأل بعضهم في أمريكا وأوربا — في دراستي وجولاتي — كنت أسأله عن جنسيته ، فيجيبني على الفور بأنه يهودي ، لا أمريكي ، ولا انكليزي ، ولا ألماني .

حدت بي هذه الالتفاتات الى الوقوف أمام عامل مهم جدا قد يكون هو الجواب الذي يكشف السر عن تماثل نفوس اليهود في كل زمان ومكان . ذلك هو العامل الديني المتمثل بتوراتهم ، لأن العقيدة — أية عقيدة كانت — من أقوى دوافع السلوك الانساني — كما هو المقرر في علم النفس .

ومما لا شك فيه أن هنالك عوامل أخرى الى جانب هذا العامل الرئيسي ولكنه لا شأن لي بها في موضوعي هذا .

فاندفعت ابحث فى التوراة بلهفة لأرى الجواب . بدأت بقراءتها من سفر التكوين ، وهو أول سفر فيها ، كلمة كلمة ، حتى انتهيت منها فى سفر ملاخى — الى كلمة (وأضرب الارض بلعن) وهى الكلمة التى ختمت بها التوراة !!

لقد وجدت ضالتى فى الجواب ، وكشفت لى التوراة القناع لحل هذا اللغز الذى لم يهتد الى حله الكثيرون ، لقد اقتنعت قناعة تامة ان اليهود قد طبعوا بطابع كتابهم ، والى هذا يرجع العامل الاكبر فى تماثل اليهود فى جميع بقاع الارض .

اننى اذ أتصدر الكتابة فى موضوع كهذا ، لا أتجنى على التوراة — توراة اليهود — وانما أنقل نصوصا منها نقل أمانة علمية ، أنقلها بحروفها وحركاتها وسكناتها ، مع تسمية السفر والاصحاح ورقمه ورقم آياته ، من غير اعتماد على تأويل ولا تعليل ، وانما هو النقل الحرفى .

كذلك فانى لا أجد حرجا فى نفسى ان ابحث فى توراتهم ، لأننى — مسلما — مؤمن بتحريفها (يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به) . وان ما سأعرضه من نصوصها ليجعل كل انسان حتى الابله فاغرا فاه ، منكرا نسبتها الى الله العزيز الحكيم .

تقع التوراة فى ١٣٥٨ صفحة ، وحجمها يقارب اربعة أضعاف حجم القرآن الكريم . وان من يقرؤها يجد ثلاثة ارباعها حروبا ومعارك دامية ، وسفك دماء ومجازر رهيبة من حرق وابادة وتمثيل وقتل بالفؤوس ونشر الخصوم بالمناشير وهتك للأعراض — يتعرض لذلك خصومهم الغرباء واليهود انفسهم في حروب الابادة مع بعضهم البعض . ولو أحصى مجموع القتلى في توراتهم لبلغت الملايين ، قتل ابادة واستئصال . أما الربع الآخر من التوراة ، فنصفه مجون واستهتار وغزل وتحدث بالزنا والدعارة ووصف لجسد المراة والرجل وقصص أقرب الى الخيال منه الى التصديق عن الزنا بالمحارم — ودور الانبياء ورجالهم المقربين الى الله فى ذلك . اما ثمن التوراة — وهو النصف الثانى من الربع — فيحدث عن الخليقة والتكوين وقصص مقبولة عن الانبياء والملوك ووصايا خلقية ، ولكنها موجزة ومتناثرة تتضاءل وتفقد قيمتها ازاء الاباحية وحروب الابادة ومواقف أنبيائهم المخجلة كذبا عليهم وكفر بنى اسرائيل وطرد الله اياهم من رحمته .

لقد وجدت فى التوراة نصوصا سطرتها فى مسودات وصنفتها للكتابة عنها فى حلقات ، ولكنك أخى القارىء — لا تطمع أن أقرأ عليك كل ما نقلت من نصوص ، لأن فمى وشفتاى تأبى على النطق بها — وان فيها ما لو نشر فى اية صحيفة لأغلقت فى يومها ،فكيف بى أعلنها من على منبر الصحافة ! ولكنه نكفيك الاشارة والتورية .

واننى سأتناول ، نظرة التوراة الى الله فالله تعالى عند اليهود غيره عند المسلمين فى القرآن . فهو فى التوراة نار آكلة ، ومنتقم ، وهو اله الجنود . واله بنى اسرائيل وليس ربا للعالمين ، كما أنه فى نفس الوقت محطم بنى

اسرائيل وبرىء منهم ، ومبيد من لا يطلبه ، وهو فأس وأدوات حرب ، لسحق الطفل والمرأة والشيخ . وهو الآمر بتحطيم الاطفال وشق بطون الحوامل ، كما أنه يأمر بالزواج بالزانيات .

وسنظهر لك طبيعة العلاقة بين اليهود وبين الله ، من تحد له وتجرؤ عليه وابتعادهم عنه وعبادتهم العجل دونه ، وغرقهم فى الشهوات وكذبهم على الله وغضبهم عليه . أما موقف الله تعالى منهم فيظهر فى توراتهم كذلك . فهم مع كونهم شعب الله المختار ، كما تزعم التوراة ، شعب غضب الله عليه ، وطوقه بالذلة والمسكنة بطوق من حديد ، واثبت عليه النقمة ، ونزع منه الرحمة ، وحكم الله عليهم بابادتهم وقطع نسلهم ، وتوعدهم بالقتل بالسيف والجوع والوباء ، حتى تأكلهم الطيور والوحوش ، ويأكل المحاصرون منهم لحوم أبنائهم وبناتهم من الجوع ، ويأكل كل واحد لحم ذراعه ، ويعلن الله الحرب عليهم . ولا سلام معهم ، ولا تعزية على فنائهم .

وسنكشف النقاب عن وصفها لأنبيائهم — كذبا عليهم — بصفات يترفع عنها ابن الشارع من كذب صريح على الله وعلى الناس ، ومن زنا بالمحارم ، وأمر الله لهم بالزواج بالزانيات واتصافهم بحيل الثعالب فى الحرب ، وقيادة حروب ابادة ، يشيب لهولها الولدان ، لا تبقى انسانا أو حيوانا أو شجرا ، ومن مصارعة اسرائيل — وهو النبى يعقوب مع الله !!

وهذا كله يكشف عن نفسية اليهودى ويثبتها عليه كتابه التوراة ، من نفاق ، وكذب على الله ، ومكر وخديعة ، ومادية ونفعية ، وكونهم رمز الخصام والنزاع لكل الارض . وهم لعنة كل انسان كما تنص عليها توراتهم ، وانهم كتبت عليهم العبودية ، كما انهم قساة القلوب خالية نفوسهم من الرحمة ، كلهم حقد وضغينة ، يأخذون الرشوة ويسفكون الدماء ويكشفون العورات ويزنون بالمحارم بالبنت والاخت . كذلك فان كتابهم يقرر أن روح الزنا متأصلة فى باطنهم ، وأنهم فطروا على كره الصلاح والتمرد على الله ، وأن غريزتهم قد جبلت بالتنكر لله والكفر به . حتى قالت فيهم التوراة (نجست بنو اسرائيل اسم الله فى الارض) و (ليسوا شعب الله ولا هو لهم) ، وشبهتهم التوراة بأنهم (أرجاس كما أحبوا أن يكونوا) .

وكذلك مكانة المرأة عندهم . ونجاسة من يلمسها بعد الولادة ، وفى الطمث ، ونجاسة البنت الولود ، وزواج الرجل الالزامى بأخت زوجته ، بعد وفاة زوجته ، وقصص غريبة فى هذا الباب ، كما سنعرج على آداب انبيائهم مع آبائهم كذبا عليهم ، من مقاتلة ابن النبى اباه النبى ومطاردته والفتك بجنوده شر فتك ، والزنا بجوارى ابيه النبى على ملأ من الأشهاد !! كذا تفترى التوراة عليهم ! وانبياء الله كلهم مبرؤون عن الدنايا (الله أعلم حيث يجعل رسالته) .

هذه اشارات عابرة عما فى التوراة من مخاز وآثام ،تمهيدا للاستطراد بها وبجوانب الحياة الاخرى الخلقية والتعبدية والاسرية والنفسية والتربوية والعسكرية ، تعتمد فيها على كتابهم التوراة . ومن كتابك ايها اليهودى ندينك ونفضحك ، ونزيد فى فضيحتك الواقعية فضيحتك الدينية من خلال دينك الذى أقمت له دولة دينية باطلة آثمة على هذا الاساس الحاقد الفاجر ، ولأطلع العالم

على ما بين دفتى كتابك التوراة من خزى وعار ، تندى له جباه الانسانية — الا أنت .

وانى سوف لا أزيد عن نقل صادق لنصوص صريحة من التوراة ، بحروفها وكلماتها ، من غير اعتماد على تأويل أو تعليل ، ولا أحمل النص أكثر مما يتحمل ، ليكون الموضوع حياديا خاليا من العاطفة التى لا تفتأ تقحم ارادتها فى الموضوع ، ولكن الاسلوب الموضوعى العلمى سيغلبها ، ويتحكم فيها ويعرى اليهودية وكتابها بنصوصها الصريحة الواضحة .

خلق اليهود ..

واحب أن أشير — قبل الدخول فى الموضوع — الى ان كل ما سأورده من نصوص التوراة ، انما هى تمثل وجهة نظر أتباعها والمؤمنين بها وهم اليهود ومن يقدسها معهم . والا لحذفوها من كتابهم ، أو لارتدوا عن دينهم الى دين غيره ، واننى — مسلما — لا أومن بجميع ما سأتناول من نصوص التوراة ، وانما أعتقد بصحة ما يتفق منها مع القرآن الكريم ، لأن القرآن هو الميزان فى كل أمر ، ولكننى أردت بذكر نصوص التوراة هذه أن أقيم عليهم الحجة من كتابهم فى أمور تنزل بهم الى الحضيض من البشرية .

وان ما لا يتفق مع القرآن الكريم ، سأشير اليه فى مكانه ، واثبت رأى الاسلام فيه . من ذلك أتهامهم كثيرا من الانبياء والرسل بما لا يليق من الموبقات وقساوة القلب ، مما لا يصدقه المسلم ، فالمسلم يضع جميع الانبياء فى القمة من البشرية (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ، (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) .

مكانة الامة فى كتابها ..

وانه لمن البديهى أن يسمو كل كتاب بأمته ، وينزلها المكانة المرموقة بنظر غيرها من الامم ، ويضعها بموضع اعتزاز دائم وثقة وتقدير ، لتحرص هى على البقاء فى المنزلة التى أنزلها ربها وكتابها ، ولتستلهم منها العزيمة فى الشدة ، والقوة فى الضعف ، والامل فى اليأس ، ولتحث الاجيال القادمة على الحفاظ على منزلتها السامية ، والارتقاء اليها اذا انحدروا عنها ، ولكى تكون هذه الامة فى كتابها وسيلة ايضاح ومرآة تعكس صورة جذابة للغير ، تحملهم على الاقتداء بها والنزول على قواعد أحكامها وطيب أخلاقها .

ومن الغريب بمكان اننا نجد التوراة كتابا يضع اليهود — اتباعها — فى الدرك الاسفل من البشرية ، ويجمع فيهم أرذل الصفات ، ويذهب الى أبعد من ذلك فيجعل خلقهم طبعا وفطرة فى نفوسهم ، وصفة لاصقة بهم جميعا ، وبنسلهم أبد الدهر ، وليس مجرد خلق ردىء ورذيلة عابرة .

ولو انك — أخى القارىء — عددت الرذائل التى اتفقت البشرية على تسميتها (منكرا) ، ووضعت لها قائمة مطولة بين يديك ، ثم انتظرت ما سأتلوه عليك من قائمة الرذائل التى وصفت التوراة بها اليهود ، لما شذت رذيلة واحدة من قائمتك عما أحصاها عليهم كتابهم ، بل ستذكرك التوراة بما لم يخطر ببالك من رذائلهم وبها تستكمل قائمة بشعة ، لا تليق بانسان الا اليهودى بشهادة كتابه عليه .

نظرة الله تعالى الى خلق اليهود ..

تعسا لأمة حقرها خالقها ، وأثبت عليها اللعن والشـــتم . (فدنست رؤساء القدس ، ودفعت يعقوب الى اللعن واسرائيل الى الشتائم) (١) ، ورفض **انتسابها** اليه (.. لانكم لستم شعبى ، وأنا لا أكون لكم) (٢) وطردهم من رحمته (.. لأني لا أعود أرحم بيت اسرائيل أيضا ، بل أنزعهم نزعا) (٣) **واحتقرهم ورذلهم وأذلهم ونسلهم الى الابد** (فرذل الرب كل نســـل اسرائيل واذلهم ، ودفعهم ليد ناهبين حتى طردهم من أمامه) (٤) ، الى أن ينتهى بقوله (حتى نحى الرب اسرائيل من أمامه) (٥) .

كل ذلك لاتصافهم بأرذل الصفات ، ولتجرئهم على الله واساءتهم اليه . (لذلك فقل لبيت اسرائيل . هكذا قال السيد الرب . ليس لأجلكم انا صـــانع يا بيت اسرائيل ، بل لأجل اسمي القدوس الذي بخســـتموه فى الامم حيث جئتم) . فأقدس اسمى العظيم المنجس فى الامم الذى نجستموه فى وسطهم ، فتعلم الامم أنى أنا الرب) (٦).

يا للوقاحة ! (كيف ينجس اسم الله) !! لئن أقرت توراتهم هذا التعبير فان المسلم يأباه ويرفض أن يسمعه ، لأن الله تعالى لن تبلغه اساءة مخلوق ، مهما تقذر وسف كاســـفاف اليهودى فى توراته ! فالله عز وجل فى عليائه لن يناله الضر والاذى ، ففى الحديث القدسى فيما يرويه النبى محمد صـــلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل (.. يا عبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى . يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانســـكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا . يا عبادى لو أن اولكم وآخركم وانســـكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا ..) رواه مسلم .

ففجور الانسان وسوء خلقه لن ينقص من ملك الله شيئا ، فكيف ينتقص من اسم الله تعالى أو ينجسه !! ولكنه اسلوب اليهود فى كتابهم كأسلوبهم فى حياتهم وكخلقهم فى تعاملهم — تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

بعض اخلاق اليهود : اهمال الآخرة وحرصهم على الحياة الدنيا ..

لعل ابرز صفات اليهودى حبه للحياة ، وكراهيته الموت ، ولعل اليهود لا يعتقدون بوجود الجنة والنار ولا بيـــوم القيـــامة ، اذ لم تعط التوراة — على سعتها — باليوم الآخر الا اشارة عابرة ولعلها **هى الاشارة الوحيدة فى جميع التوراة اذ يقول** (لو عقلوا لفطنوا بهذه ، وتأملوا آخرتهم) (٧) .

---

(١) سفر (أشعياء) الاصحاح (٤٣) الفقرة (٢٨) .
(٢) سفر (هوشع) الاصحاح الاول الفقرة الثامنة .
(٣) سفر (هوشع) الاصحاح الاول الفقرة السادسة .
(٤) سفر (الملوك الثانى) الاصحاح ١٧ الفقرة ٢٠ .
(٥) سفر (الملوك الثانى) الاصحاح ١٧ الفقرة ٢٠ .
(٦) سفر حزقيال الاصحاح (٣٦) الفقرة (٢٢ — ٢٤) .
(٧) سفر التثنية الاصحاح (٣٢) الفقرة (٢٩) .

ولهذا يصف القرآن الكريم حرصهم على حياة — اى حياة كانت (ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون) (١) .

عبادة المال والكذب على الله ..

ولما كانت الحياة الدنيا غاية همهم ، فقد صاروا ماديين نفعيين ، يسلكون كل سبيل ملتو ، ويكذبون وينافقون للحصول على المال .

تتحدث عنهم التوراة فتقول ما نصه (لأنهم — اى اليهود — من صغيرهم الى كبيرهم مولع بالربح ، ومن النبى الى الكاهن ، كل واحد يعمل بالكذب) (٢)

النفاق والتضليل وعدم الرحمة ، والجشع ..

ومن وسائل عبادة المال وجعله غاية الحياة اتخاذ شعار (الغاية تبرر الواسطة) ، ووسيلة المال غاية للحياة عندهم . خداع وتمويه ، وعدم انفاق فى وجوه الخير ، فتقول التوراة (وصار مرشدو هذا الشعب — يعنى اليهود — مضلين ، ومرشدوه مبتلعين . لأجل ذلك لا يفرح السيد بفتيانه ، ولا يرحم يتاماه وارامله ، لأن كل واحد منهم منافق وفاعل شر ! وكل فم متكلم بالحماقة (٣) ، حتى تنتهى الى قولها (بسخط رب الجنود تحرق الارض ، ويكون الشعب كمأكل للنار . لا يشفق الانسان على أخيه . يلتهم على اليمين فيجوع ، ويأكل على الشمال فلا يشبع يأكل كل واحد لحم ذراعه) (٤) .

ولما كانت الحياة الدنيا غايتهم فلا عجب أن يكونوا كذلك . حرص قاتل ، وطمع وجشع ، لا رحمة ولا خير فيهم ، هم مصدر الشر والحماقة ، الكذب والنفاق وسيلتهم لادراك المال ، والالتواء والغموض سبيلهم فى هذه الحياة . استمع معى الى تسفيه التوراة لهم وتحقيرها اياهم (.. جيل أعوج ملتو . الرب تكافئون بهذا يا شعبا غبيا غير حكيم) (٥) ؟ !!

مما مضى ، يتبين بعض ما أثبتته التوراة على أتباعها اليهود من صفات تشمئز منها الانسانية ، وتعافها الا اليهود ، فانهم لم يرتضوها صفة مجردة مكتوبة فى كتابهم ، بل تمثلوها واقعا لاصقا بهم منذ أن ظهرت اليهودية على مسرح الحياة حتى يومنا هذا . وبذا استحقوا الطرد من رحمة الله ، وأنكر الله كونهم شعبه وانتسابهم اليه ، تقول التوراة (على أمة منافقة أرسله ، وعلى شعب سخطى أوصيه ، ليغتنم غنيمة ، وينهب نهبا ، ويجعلهم مدوسين كطين الازقة) .

« وللحديث صلة »

---

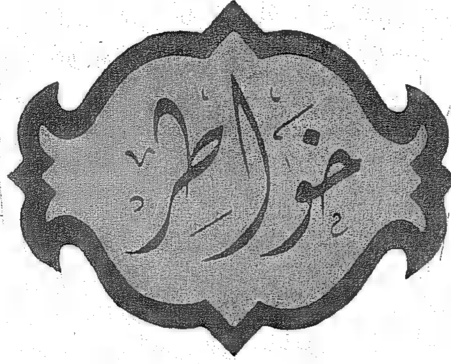
(١) سورة البقرة — الآية ٩٦ .

(٢) سفر (أرميا) الاصحاح السادس/الفقرة (١٣) .

(٣) سفر (اشعياء) الفصل التاسع/الفقرة (١٦ ، ١٧) .

(٤) سفر (اشعياء) الفصل التاسع/الفقرة (١٩ ، ٢٠) .

(٥) سفر (التثنية) الاصحاح ٣٢/الفقرة الخامسة .



يكتبها : عبد المنعم النمر

احذروا رد الفعل :

ظاهرة بارزة فى هذه الايام ، تجدها فى بعض الكتب الحديثة والمقالات ، التي تكشف للقارىء عن ألاعيب اليهودية قديما ، والصهيونية حديثا فى الاحداث والانقلابات التاريخية — حتى ليخيل للقــارىء أن هؤلاء وراء كل حدث ، وكل جمعية ، وكل انقلاب ..

ومع أن هذا قد يكون صحيحا كله أو بعضه من الناحية التاريخية ، الا أنني اشعر بان التركيز الآن على هذه الناحية وتصوير هؤلاء بهذه الصورة ، واعطاءهم هذا الوضع ، أو الكشف عنه ، قد يؤدى فى النهاية الى صورة أو حالة ليست من صالح القارىء المسلم ، ولا الامة العربية فى حربها مع اسرائيل ، وليست فى الوقت نفسه مما يقصده هؤلاء الكتاب العرب . فهى تصور اليهود عمــالقة ، وقادرين على صنع الاعاجيب ، فى أى عصر من العصور ، وهذا بالتالى قد يؤدى الى تكوين عقدة فى نفس العرب ، تضعف موقفهم تجاه أعدائهم ، وتعجزهم عن ملاقاتهم ، والانتصار عليهم ..

ولهذا أود لو أن الكتاب اقتصدوا قليلا من سيرهم فى هــذا الاتجاه .. ويكفى اليهود أو الصهاينة سبة تاريخية ، ما دمغهم الله به فى كتابه الكريم ، من صفات الغدر واللؤم والخسة ، ثم ما نراه نحن المعاصرين من أفعالهم الدنيئــة وتصرفاتهم المخزية ..

نعم . يكفى اثارة لحماس العرب ما فعله هؤلاء من الاستيلاء على أرضهم ، وطردهم من ديارهم ، ثم ما تبع ذلك من تصرفات حتى حاضرنا المؤلم .. هذا اذا كنا قوما نثار ، ونثار لكرامتنا وعزتنا ..

وهناك شىء آخر أود أن ألفت النظر اليه .. فقد لاحظت فى موجة السخط العارمة على الاسرائيليين ، أن هذه الموجة زادت وفاضت ، حتى لتكاد تمس أنبياء بنى اسرائيل ، الذين كرمهم القرآن الكريم ، وأمرنا بالايمان بهم ((رسلا مبشرين ومنذرين)) وعنواننا نحن المسلمين ما ذكره الله تعالى فى كتابه الكريم : ((آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورســله لا نفرق بين أحد من رسله)) .

فلا يجوز — اذن — فى تيار هذه الموجة من السخط على بني اسرائيل ، ان يمتد لساننا بشىء يهز ايماننا برسلهم ، الذين علمنا قرآننا ان ايماننا لا يكون الا بالايمان بهم وتكريمهم . وقد كان بنو اسرائيل حربا على هؤلاء الرسل فى حياتهم وبعد مماتهم ، وقتلوا كثيرا منهم كما حدثنا القرآن فى كثير من آياته الكريمة ..

فلنقتصد — اذن — فى كلامنا . ولنفرق بين رسل كرمهم الله ، وبين أقوام لهم لعنهم الله بكفرهم وقتلهم أنبياءهم ، وذرية لهم ورثت كل صفاتهم الخبيثة .. ثم لنكن عمليين نثار لأنفسنا بالعمل لا بالكلام ..

لماذا النغمة الحزينة دائما ؟

من أجل رغبتنا السريعة فى النهضة بكل مظاهرها .. ومن أجل حماسنا للقضاء على كل ظاهرة تخلف فى أوساطنا ، يشتد نقدنا لأنفسنا ، ولكل ما نراه معوقا لنهضتنا السريعة .. حتى لتجدنا أحيانا نشتط فى النقد ، ونطلب ما هو فوق الطاقة ، وكأننا نريد مجتمعا بلا عيوب ، وتجدنا ونحن فى هـــذه الموجة القاسية من نقدنا لأنفسنا ومجتمعاتنا ، نضع فى ذهننا دائما صورة براقة للأمم التى سبقتنا فى مضمار الحضارة والتقدم ، كأنها مبرأة من كل عيب !!

ونحن بلا شك فينا عيوب ، وعيوب قد لا تكون كلها موجودة عند الامم الراقية ، ولذا كنا فى حاجة لنقدها ، والتبرم بها ، حتى نتخلص منها .. ولكن يجب مع ذلك أن نضع فى حسابنا أن لهذه الامم الراقية عيوبا ليست فينا والحمد لله ..

ليس عندنا مثلا راى عام قوى يقف وراء رذيلة الشذوذ الجنسى ويحبذها . حتى يظفر من البرلمان بقانون يبيحها ، ثم يصفق لما أقره النواب ، ويقيم له الافراح والزينات !!

ليس عندنا مثلا جنود رسميون يقفون لحماية حفلات أو اجتماعات شاذة يغشاها كبار القوم ليرضوا شذوذهم ، ويختاروا من هؤلاء الجنود عمالقة ليشبعوا هذا الشذوذ !!

ليس عندنا — ولله الحمد — ما اثبتته الاحصائيات ايضا من وجود كثير من فتيات المدارس وقد غشيهن الحمل من جراء العبث المباح لهن !!

وليس عندنا هذا التفكك الاسرى الى حد أن تطلب الام من ابنتها اجر رعاية بنتها التى هى حفيدتها لبضع ساعات !!

وليس عندنا ، وليس عندنا كثير من الرذائل الاجتماعية التى ابتليت بهـــا الامم المتقدمة ، وبرأنا الله منها بفضل عقيدتنا ، وتعاليم ديننا التى لا تزال لهـــا السيطرة على مجتمعاتنا ، برغم ما يبدو من تمرد أحيانا عليها .

وفى هذه الامم كذلك كثير مما عندنا من عيوب .

وليس معنى هذا اننى ابرر فينا وجود هذه العيوب ، ولكنى اريد ان اقول للمتشائمين : خففوا قليلا من تشاؤمكم .. وخففوا قليلا من شدة الحملات على مجتمعاتكم ، فقد يولد ذلك عقدة النقص فيهـــا ، أو يوئسها من امكان مداواة امراضها ..

واذا كنت احيانا اقوم بهذه الحملات واشتد فيها ، فليس ذلك الا كما يضع الطبيب مشرطه المشحوذ ليزيل مرضا تعلق بموضع فى الجسم ، دون أن يغفل ما يتمتع به الجسم فى غير هذا المكان من صحة وسلامة ، يجب الحفاظ عليها وتقويتها ..

ان الضرب على النغمة الحزينة دائما ، يحيل الانسان الى كتلة من الحزن تتحرك ، دون أن يتفتح للحياة ولو بابتسامة .
كذلك الضرب على نغمة التخلف والتأخر دائما ، يجعل الانسان ، أو الشعب كله يشعر بتفاهته ، فلا ينهض لعظائم الامور ، ولو كان أهلا لها ..
والامم كالاطفال فى وجوب الحذر فى تربيتها ..
ان الطفل لو ظللت تصب فى أذنه أنه بليد ، شرس الطباع ، وأن زملاءه أحسن منه ، فستكون النتيجة أن يحس نقصا فيه ، غير طبيعى ، ولكنه نتيجة لما يسمعه . فلا يجلس مع زملائه واذا جلس فانه يتهيب الكلام معهم ، ومع مدرسيه ، ويتلعثم كلما تكلم ، وقد يكون فاهما ، ولكنه لا يحسن الاجابة . فيقضى عليه ، وعلى مواهبه ، بهذا الاسلوب الخاطىء فى التربية ..
وكذلك الامم ، أو الطائفة من الامة ..
وينساب الى خاطر يلح على وأنا أكتب هذا ..
حالتنا التى نعيش فيها الآن بعدما حدث — مما لم يكن أشد الناس تشاؤما ينتظره — أصبحت حديث كل لسان ، وخاطر كل قلب ، فان ما حدث أظهرت الايام وتظهر أنه كان نتيجة نقص وعيب فينا كان من الممكن تلافيه ..
هذا صحيح .. ومن الحق أن نلوم أنفسنا ، ويتحمل المسئولية كل من ساهم فى هذا المصير .
وهذا ضرورى .. حتى لا يتكرر ما حدث مرة أخرى .
ولكن .. أن نكرس كل حديثنا على الاخطاء ، ولا نرى أمام عيوننا الا القاتم من الالوان ، ولا نسمع الا الموسيقى الحزينة ، هذا ليس من العدل فى الحديث ، وليس من مصلحة أمة تحاول النهوض من كبوتها ، ولا يزال عدوها جاثما على صدرها ..
هناك وسط الالوان القاتمة والحقائق المحزنة ، ألوان أخرى فاتحة ، وحقائق أخرى مشرقة ، تبعث الامل ، وتحيى الهمم .. ولابد من أن نفتح النوافذ عليها ..
لقد فاز العدو بمفاجاته ولغفلتنا .. هذه حقيقة ..
ولكن : ماذا لو فاجأناه نحن فى هذه المعركة أو فى معركة أخرى مقبلة ؟
ماذا لو لم تكن هناك غفلة أو خيانة أو ما شئت قسمه ؟
الاسرائيليون أنفسهم يجيبون بلسان قادتهم : بأنهم كانوا قد وضعوا خططهم للتسليم ، لو لم تنجح مفاجاتهم ، ولم يثمر غدرهم ..
رئيس الوزراء الاسرائيلى نفسه اعترف فى برلمانهم ، بانه جاء وقت على جيشهم فى الميدان كاد يسلم ، ويتحول مجرى المعركة ضدهم ، لولا حركة طيرانهم ، ونجدته لجيشهم .
وحقائق أخرى كثيرة مشجعة تبدو من خلال كل ما حدث ، وان كانت فى الوقت نفسه تضاعف حزننا وأسانا ، لأن النصر كان قريبا منا ..
اذن .. لا يأس من المستقبل ، ولا داعى لأن نهد النفوس بكثرة المعاول التى تنهال عليها ..
لقد كانت غلطة — على اقل تعبير — ندفع جميعا ثمنها الآن ..
ولكن هل نخطىء كل مرة ؟ وهل يدعو هذا الخطأ الفاحش الذى حصل ، الى أن نظل مطروحين على الارض ، نلقى على أنفسنا التراب والطوب والحجارة ؟ أو أن سنة الحياة أن نقف ، ونستعيد قوانا ، ونتقى أخطاءنا ، ونعوض ما فاتنا ؟!
هذا هو المعقول .
والا تحولنا كلنا الى ما يشبه القواعد من النساء النادبات فى المآتم !!

ما يفهمونه على ظاهره ؛ من غير أن يشوش أفهامهم ويذهل عقولهم بذكر ما لا يفهمون من أسرار نواميس (الجاذبية ، والنور ، والبصريات ودوران الارض على نفسها أمام الشمس ، وقانون أرخميدس ، أو أسرار عملية المطر ، أو أسرار ناموس الاحتراق عند اتحاد الكربون مع الاوكسجين .. الخ) ولكنه سبحانه يقول لمن سيأتي من العلماء الذين يطلعون على هذه الاسرار (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) وقد جاء الوقت ، وانكشفت بعض الاسرار ، وتبين الحق ... والبقية تأتي ..

٦ ـ قانون العلية :

من ركائز التفكير العقلية في القرآن امر الفطرة ، ومن جملتها (قانون العلية) . ذلك أن في عقولنا قوانين فطرية وهي التي سماها الفيلسوف (كانط) (قوانين العقل المنظمة) Leslois Reglatrices de La Raison، ومن جملتها ، بل من أعظمها قانون العلية ، الذي يتطلب ، بالبداهة ، لكل معلول علة ، ولكل مسبب سببا . هذا مقرر وليس لنا أن نشك فيه ؛ كما انه ليس لنا أن نتطلب عقولا وراء عقولنا التي فطرنا الله عليها (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها) الروم ٣٠ ـ وبهذه الفطرة من (قانون العلية) ندرك وجود الله . ومهما اختلف المتفلسفون في هذه الفطرة وكونها مكتسبة من تجارب الانسان الطويلة ، أو كونها من خلق الله ، فان قانون العلية الذي اعتبره (ديكارت) صادقا وغير خادع ، واستدل به على الله ، وعلى صفات كماله ، هو ، على كل حال ، القانون العقلي الذي يتحكم في ادراكنا لكل ما في الوجود ، وعليه يقوم العلم ، وعليه تقوم المعرفة ، وعليه تقوم الحياة ، وعليه يقوم الايمان بالله .

٧ ـ ميزان التناقض :

ان النظر العقلي يدور في كل شيء من الماديات والمعنويات ، والمشاهدات والمغيبات ، حول احكام ثلاثة . الوجوب والامكان والاستحالة . هذا مفهوم عند أبسط الناس علما وفهما ؟ ولكن الذي يشتبه ويخفى احيانا ، على بعض أرقى المثقفين من الشباب ، هو التفريق بين نوعين من المستحيل .

المستحيل العقلي : وهو الذي يشكل تصور وجوده ، أو تصور عدمه (تناقضا عقليا) في الذهن . كقولنا الواحد ربع الاثنين لا نصف الاثنين ، أو قولنا جزء الشيء اكبر من الشيء ، أو قولنا ان جبل لبنان يدخل في الفنجان . اما المستحيل العادي فهو لا يحدث تناقضا عقليا في الذهن ، ولكننا بحكم العادة نظن انه مستحيل ، وما هو كذلك ولكننا تعودنا أن نراه مستبعدا كالمستحيل ، ثم عرفتنا الايام انه ليس بمستحيل عقلي . مثل الصعود الى السماء ، والتخاطب والتناظر من اقاصي الارض ، والوصول الى القمر .

والميزان الضابط في تكذيب الخبر ليس استبعاده واستغرابه ، بل هو كونه يحدث تناقضا عقليا ـ يقول (لايبنتز) ـ فان احدثه نفيناه ، وان لم يحدثه توقفنا عن التكذيب . فلا يغفلن الشاب المثقف عن التفريق بين هذين النوعين من المستحيل اذا هو تورط في جدل ، حول الله والدين واخبار القرآن .

(الحديث بقيـة)

محمد بن جرير الطبري

الفقيه

فى فترة من أخصب فترات النمو الثقافى فى الدولة الاسلامية ، واغزرها نتاجا ، وأوسعها افقا ، وأقربها الى النضج والتكامل ، بعد القرن الثانى الهجرى ، وعلى وجه التقريب فى النصف الثانى من القرن الثالث ، وأوائل القرن الرابع الهجرى ، حيث كانت الحركة الثقافية فى أوج عنفوانها ، فعلوم العربية من لغة وأدب ، قد أرسى قواعدها ، وجمع شاردها الاصمعى وأبو عبيدة . والسير والمغازى أوضح معالمها ابن اسحق ، وأثرت علوم التفسير بأقوال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وابن جريج ، ومقاتل بن حيان ، واستقرت علوم الفقه بظهور الائمة المجتهدين : مالك بن أنس ، وأبى حنيفة والشافعى ، وأحمد بن حنبل ، وتبلور فن الحديث بتأليف الصحاح المشهورة جمعا ، وثبوتا ، ورواية ، وبدأ فن التاريخ يخطو خطوات سريعة نحو النضوج والوضوح ، وحيث امتدت مدارس الفكر والثقافة الاسلامية بفروعها لتصبح مراكز مشعة ، فى العراق ومصر والشام والمغرب وفارس ، وخراسان ، والاندلس ، لتغطى رقعة الدولة الاسلامية ، وتهيىء ظروف النمو الخير لجميع المسلمين ، فى هذا الجزء المفعم بشتى ألوان المعرفة الانسانية ، نشأ عالمنا الكبير « أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى » ليجد الظروف مواتية ، والاجواء ملائمة لنمو ملكاته ومواهبه ، نموا سريعا ، ولنضج عقله ، متكشفا عن عقلية من أقدر العقليات على الفهم والهضم والاستيعاب والعطاء ، ويقوم بتأدية دور خطير ، يحمل فيه راية النور ، مبرزا فى أكثر من فن ، ومجليا فى ثلاثة من أعقد تلك الفنون ، وأوسعها مجالا ، ومضطربا : الفقه والتفسير ، والتاريخ ، فيقدم لنا ثروة ضخمة من تراث لا تزال آثاره ماثلة للعيان . ولا تزال تؤثر فى حياتنا الثقافية ، والفكرية التأثير الكبير .

مولده :

ولد « محمد بن جرير الطبرى » سنة أربع وعشرين ومائتين هجرية أو سنة خمس وعشرين ومائتين ، والسبب فى حصول هذا الشك الطفيف فى تعيين السنة التى ولد فيها ، ما رواه أحد تلاميذه الذين أرخوا له : القاضى « أحمد بن كامل » قال سألت الشيخ الطبرى كيف وقع لك الشك فى تاريخ مولدك ؟ فقال : كان أهل بلدى يؤرخون بالاحداث دون السنين . فأرخ مولدى بحادث وقع فى البلد ، فلما نشأت سألت عن ذلك الحادث ، فاختلف المخبرون قال بعضهم كان ذلك فى آخر سنة أربع وعشرين ومائتين ، وقال آخرون . كان فى بداية سنة خمس وعشرين ومائتين هجرية .

أما بلدته التى ولد فيها فهى « آمل » حاضرة اقليم « طبرستان » . و « آمل » هذه مشهورة بأنها خرجت العديد من مشاهير العلماء والاعلام ، وكلهم عرف بالطبرى ، أما طبرستان الاقليم ، فمتسع ممتد ، تشغل الجبال أكثر مساحته ، ومما يعرف عن سبب تسميته بهذا الاسم ، أن أهله يتميزون بحمل سلاح ، بشكل دائم ، ويستعملونه فى حروبهم الكثيرة ، يعرف « بالطبر » فعرف الناس فيه ، بحملة الاطبار ، وأطلق على الاقليم « طبرستان » وبه اشتهر . وهو اقليم كثير المياه ، متهدل الاشجار ، متنوع الفاكهة ، والعيش فيه موفور ، ميسور .

الاستاذ احمد محمد مصطفى اسفاريني - الطائف

المجتهد وشيخ المفسرين وعمدة المؤرخ

نشـــاته :

كان بيت الطبرى يجمع الى تقوى اهله ، اليسار ، وسعة ذات اليد ، فنشا مكرما ، تحوطه اليد الكريمة الحانية ، وتحمله على المكارم نفوس برة ، رحيمة فمهد به ابوه الى علماء « آمل » يثقفونه ، ويؤدبونه ، وكانت مخايل الذكاء والفطنة مبكرة ، قد ارتسمت سماتها فى وجه الصبى . فحفظ القرآن وهو ابن سبع وصلى بالناس وهو ابن ثمان ، ولم يبلغ التاسعة حتى كتب الحديث . فما بلغ سن الرشد حتى قطع شوطا بعيدا فى الدرس والتحصيل . ويروى ان اباه راى له رؤيا تفاءل بها ، فقد رآه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه مخلاة مملوءة بالاحجار ، وهو يرمى بين يديه ، وفسر المعبرون له تلك الرؤيا . بان هذا الابن سيكون ناصحا فى دينه ، ذابا عن شريعته الاسلام . فاستبشر الوالد ، وحرص على تعليمه ، والوصول به الى غاية بعيدة فى العلم ، وحثه على الرحلة فى طلب المعرفة ، ولم يبخل عليه بمال او زاد ، وجهزه بكل ما يحتاج اليه ، فلما ان استنفد من «آمل» ما عند مشايخها ، تنقل بين مدن طبرستان ، والرى ، فاخذ الفقه عن «مقاتل» ، وعلوم العربية عن « احمد بن حماد الدولابى » ، وعن « محمد بن حميد الرازى » الفقه ، والادب ، والتاريخ ، واخذ عن سلمة بن الفضل المغازى والسيرة ، ثم لم يجد فى نفسه المتعطشة للمزيد من التحصيل ، رضى واكتفاء ، فعول على الرحلة الى بغداد ، وكانت المركز الاكثر ازدحاما بالعلماء ، وعلى راسهم الامام الجليل « احمد بن حنبل » وهو علم من اعلام رجال الحديث ، طار فى الآفاق ذكره ، فلم يلبث ان يمم شطر العراق الى بغداد ، وتشاء المصادفات ، والاقدار ان يتوفى ابن حنبل قبل ان يدخل الطبرى الى بغداد ، فلا يستقر بها ، بل يتركها الى البصرة المركز الثقافى الذى كان يضاهى بغداد ، فينقطع الى شيوخها كابن القزاز ، والصنعانى ، والحرشى ، وغيرهم ، عابا من مناهل علمهم ، ويذهب بعدها الى واسط ومنها الى الكوفة ليلقى علماءها فى الحديث وعلوم القرآن « كالهناد بن السرى » و « اسماعيل بن موسى » و « ابن كريب محمد بن العلاء الهمذانى » وهذا الاخير سمع منه البخارى اكثر من مائة الف حديث ، والذى يبدو ان رحلته هذه الى الكوفة جعلته يقرر التخصص فى علوم القرآن والحديث والفقه دون غيرها ، فنراه يعود الى بغداد التى ازور عنها فى بداية رحلته ، وياخذ عن ائمتها . احمد بن يوسف التغلبى المقرىء ، والحسن بن محمد الصباح ، وابن سعيد الاصطخرى ، ولم يكتف بهذا ، بل نراه يرحل الى مصر حيث الكثيرون من اصحاب الشافعى . كالربيع بن سليمان ، واسماعيل بن ابراهيم المزنى ، ومحمد بن عبد الله بن الحكم ، وكانت رحلته الى مصر سنة ثلاث وخمسين ومائتين هجرية ، وتنقل بين مصر والشام ، مستمعـــا ومحدثا ، ويجلس الى علماء المالكية فى مصر ، بعد ان كان منقطعا الى المذهب الشافعى ، كما انه يزيد من اهتمامه بالقراءات ، ويحن بعد ذلك الى مسقط راسه ، وبلده فيغادر مصر الى طبرستان ، ولا يلبث ان يعود الى بغداد عازما على الاستقرار ، والتفرغ للدرس والتاليف ، فيبنى بهـــا دارا لنفسه ، ويقضى بها بقية حياته ، جادا غير مغتر بمباهج الحياة ، ولا مفتون ببهارجها ، ولا ساع للمزيد من متاعها ولا من حطامها ، وقد عاش حياته لم يتزوج ، وتؤثر عنه كلمته المشهورة « ما حللت سروالى على حلال ولا حرام قط » . اما مذهبه فكان فى بداية عهده شافعيا ، حتى انه افتى به عشر سنوات فى بغداد ، الى ان اختار لنفسه ، مذهبا خاصا به ، اما موقفه من المذهب الحنبلى ، فكان

مختلفا ، ذلك انه كان يعتبر الامام « أحمد بن حنبل » رجل حديث ، وعالم أسانيد ، ذا اطلاع واسع بعلوم الحديث ولكنه لا يعتبره مجتهدا ، ولا من رجال الاختلاف فى الفقه . وكان لموقفه هذا رد فعل عنيف من جانب الحنابلة ، فسخطوا عليه ، ثم تفاقم الامر بينهم بعد أن اصبح الطبرى مجتهدا ، صاحب مذهب ، عرف « بالجريرية » نسبة اليه ، مما اضطره الى طلب حماية صاحب الشرطة ، وبلغ بالحنابلة الامر ، محاولة تقديمه للقضاء بتهمة المروق من الدين ، ولكنهم فشلوا ، فان علم الرجل ، وتقواه اللذين كانا مضرب الامثال ، ولا يتطرق لهما أدنى شك ، يشهدان له شهادة صادقة بالاستقامة والفضل . وظل مقيما فى بغداد حتى لاقى ربه فى يوم السبت فى الثامن والعشرين من شهر شوال سنة عشر وثلاثمائة هجرية .

ثقافتـــــــه :

ان من الامور الملفتة للنظر عند علماء هذه الفترة فى القرنين الثالث والرابع الهجرى هو عدم الوقوف عند حد التخصص فى مجال معين ، وان كان غلب على أحدهم أن برز فى علم او فن ، فانما هو جزء من ثقافته ، وليس كل ثقافته . فكان الالمام الواسع بمعظم فروع المعرفة عند الجميع على وجه العموم ، ولم يكن الطبرى العالم الفذ ، ليشذ عن هذه القاعدة ، بل كان الاوسع اطلاعا ، الاغزر مادة ، الاكثر فقهـا وعطاء ، حتى قيل : ان الطبرى فقط هو الاكثر تصانيف ومؤلفات من ابن حزم العالم الاندلسى الكبير . لقد جمع « ابن جرير الطبرى » ثقافة عصره ، من اسلامية ، ومترجمة الى العربية ، من فارسية ، وهندية . وكان حافظا للقرآن الكريم ، وله فى قراءته قراءة مدونة ، اختارها لنفسه ، واقرأ بها بعض تلامذته ، وناهيك بها سعة اطلاع ، وتوقد ذهن ، واعتداد بالنفس . وكان فقيها بلغ مرتبة الاجتهاد بمذهب مستقل كغيره من المجتهدين ، وكالعادة فقد وضع كتابا فى علم الاصول سماه : « اختلاف الفقهاء » اثبت فيه قواعده الاصولية ، مستقصيا آراء الائمة فى هذا الباب ، ومتتبعا اجتهاداتهم ، مناقشا اياها ، ناقدا لما لم يتفق ورأيه ، ليصل بعد ذلك الى تقرير قواعده التى اختارها ثم اتبعـه باجتهاداته الفقهيـة التى بناها على قواعده الاصـولية ، وجمعهـا فى كتـاب « لطيف القول فى شرائع الاســلام » . وهذا الكتاب من اشهر مؤلفـاته الفقهية الكثيرة التى فقدت جميعها . وفيه تفصيل للاحكام الشرعية وادلتها ، وطريقة استنباطها ، ويصف ياقوت هذا الكتاب بقوله : « هو مجموع مذهبه الذى يعول عليه اصحابه ، وهو من انفس كتبه وكتب الفقهاء ، وافضل أمهات المذاهب ، وأسدها تصنيفا » . واضاف فيه زيادة عن كتـاب الاختلاف السابق ثلاثة كتب وهى كتاب أمهات الاولاد ، وكتاب اللباس ، وكتاب الشرب . ولا تعنى تسمية الكتاب باللطيف ، كما يتبادر الى الذهن صغر حجمه ، كما يقول « أبو بكر بن راميك » بل اراد بتسميته تلك الاشارة الى دقة معانيه ، وكثرة ما فيه من النظر ، والتعليلات ، ومع أن تلاميذه كانوا كثيرين ، وقد نقلوا مذهبه هذا فى الفقه ، الا أنه لم يعمر أكثر من نهاية القرن الرابع ثم انقرض .

وكان من ائمة الحديث وحفاظه ، واسع المعرفة بمتونه ، وأسانيده وأحوال رجاله ، حتى ان الذهبى يعد الطبرى فى الطبقة السادسة من رجال الحديث . وتأثره الشديد بعلم الحديث يبدو بارزا فى اسلوبه الذى اتبعه فى تدوين كتابه فى التاريخ . كما ان له كتابا فى الحديث اسمه « تهذيب الآثار » لا زال مخطوطا فى احدى مكاتب اسطمبول . وهو كتاب مشهور ، يدل على طول باع الطبرى فى مصطرع هذا الفن الدقيق.

ولعل أكثر ما اشتهر به الطبرى كتاباه فى التفسير والتاريخ ، فهما الكتابان اللذان ، يذكر التفسير ، والتاريخ ، كعلمين ، الا كان لهما ذكر عريض . فقد كان الطبرى عالما بروايات الصحابة والتابعين وباقوالهم فى تفسير القرآن ، وتاريخ رواته ، وطرقهم الى الصحابة ، وكتابه « جامع البيان فى تفسير القرآن » واحد من أمهات كتب التفسير المعتمدة . وقد جعله فى ثلاثين جزءا بعدد أجزاء القرآن الكريم . وهو تفسير ذو نهج خاص ، وسباق فى التأويل يذكر الآية ويذكر اشهر الاقوال التى أثرت عن الصحابة والتابعين من سلف الامة فى تفسيرها ، ثم يورد روايات أخرى عمن جاء

بعدهم ، بناء على خلاف فى القراءة ، ويعقب بعد ذلك كله بترجيح أحد هذه التأويلات ، أو يجتهد فى ذلك رأيه ، ثم ينتقل الى غيرها ، عارضا ، فناقدا ، فمرجحا . أما المقاييس التى يعتمدها فى النقد والترجيح ، فهى اما أن تكون تاريخية من حال رجال السند ، قوة أو ضعفا ، واما أن تكون علمية فنية . من الاحتكام الىاللغة التى نزل بها الكتاب ، ومن نقد القراءة أو تصحيحها ، أو بالرجوع الى أصول العقائد التى أقر بها العلماء ، وهو يستشهد كثيرا بالشعر للتدليل على الاستعمالات اللغوية .

وقد ابتدأ تفسيره بمقدمة طويلة تعرض فيها لكل النقاط الرئيسية العامة التى يمكن أن تواجه المتصدر للتفسير ، لنستمع اليه يقدم كتابه : « ونحن فى شرحنا لتاويله ــ القرآن الكريم ــ وبيان ما فيه من معانيه منشئون ان شاء الله ذلك كتابا مستوعبا لكل ما بالناس اليه حاجة من علمه ، جامعا ، ومن سائر الكتب غيره فى ذلك كافيا ، ومخبرون فى كل ذلك بما انتهى الينا من اتفاق الحجة فيما اتفقت عليه الامة ، واختلافها فيما اختلفت فيه منه ، ومبينو علل كل ما أمكن من الاختصار ، وموضحو الصحيح لدينا من ذلك » . وأول الامور التى اثبتها بعد نقاش وبحث اتفاق البيان القرآنى ، ومعانى منطق من نزل القرآن بلسانه ، مع الفارق الكبير المتمثل فى الاعجاز . كما تحدث عن الكلمات غير العربية من مفردات القرآن الكريم ، وأجاد هنا اجادة الفاهم المتقن ، والبحث هنا عقلى ، اعتمد على دقة ملاحظة الطبرى ، وصدق تصوره للمشكلة فبعد أن أورد بعض الالفاظ من مثل سجيل ، وكفلين ، قال : « والصواب فى ذلك عندنا أن يسمى عربيا عجميا ، أو حبشيا عربيا ، اذ كانت الامتان له مستعملتين ، فى بيانها ومنطقها ، استعمال سائر بيانها ومنطقها ، فليس غير ذلك من كلام كل أمة منهما باولى أن يكون اليها منسوبا منه ، فكذلك سبيل كل كلمة ، أو اسم ، اتفقت الفاظ أمم أخرى ، ومعناها ، ووجد ذلك مستعملا فى كل جنس منها ، استعمال لسائر منطقهم .. » . فكذلك ما قلنا فى الاحرف التى ذكرنا وما أشبهها . غير مستحيل أن يكون عربيا بعضها أعجميا ، وحبشيا بعضها عربيا ، اذ كان موجودا استعمال ذلك فى كلتا الامتين فناسب ما نسب من ذلك الى احدى الامتين أو كلتيهما . محق غير مبطل . ثم اردف ذلك بمسالة اللغة التى نزل بها القرآن من لغات العرب ، مبينا أن الالسن انما هى اللهجات المرادة فى حديث الاحرف السبعة ، وكانت خمسة منها لهوازن . وسعد بن بكر ، وخيثم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف ، والاثنان الباقيان هما لهجة قريش ، وخزاعة ، نافيا أن يكون معنى الحروف هنا أنواع الاحكام والتى قال بها بعض المفسرين ، أما الحديث « كان الكتاب الاول نزل من باب واحد ، وعلى حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب وعلى سبعة أحرف ، زجر ، وأمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه . وأمثال ، فاحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ، وافعلوا ما أمرتم به ، وانتهوا عما نهيتم عنه ، واعتبروا بأمثاله ، واعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا آمنا به ، كل من عند ربنا » . فمعناه كما يقول ابو جعفر : أن ما نزل من كتب الله على من أنزل من أنبيائه ، كان خاليا من الحدود ، والاحكام ، والحرام ، كزبور داود الذى انما هو تذكير ، ومواعظ ، وانجيل عيسى ، الذى هو تمجيد ومحامد ، وحض على الصفح ، والاعراض ، دون غيرها من الاحكام والشرائع ، وما أشبه ذلك .

أما وجوه التفسير فهى عند أبى جعفر ثلاثة . فوجه لا يجوز تفسيره الا ببيان من الرسول الكريم ، ولا يتعدى فى ذلك اطلاقا ، فلا يمكن ادراك تأويله الا بنص منه عليه ، أو بدلالة قد نصبها ، دالة أمته على تاويله ، وذلك النوع هو تأويل جميع ما فيه من أمره ، وواجبه ، وندبه ، وارشاده ، وصنوف نهيه ، ووظائف حقوقه ، وحدوده ، ومبالغ فرائضه ، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض ، وما أشبه [illegible] من أحكام آيه . ووجه لا يعلم تأويله الا الله تعالى ، وذلك ما فيه الخبر عن آجال حادثة ، وأوقات آتية ، كوقت الساعة ، والنفخ فى الصور ، وما أشبه ذلك .

ووجه ما يعلم تأويله كل ذى علم باللسان الذى نزل به القرآن ، وذلك اقامة اعرابه ، ومعرفة المسميات بأسمائها اللازمة ، غير المشترك فيها ، والموصوفات بصفاتها الخاصة دون سواها . ولا يفوت الطبرى فى نهاية مقدمته ، أن يحدد الذين تقبل رواياتهم فى التفسير فيذكر ابن عباس ومجاهد

البقية على صفحة ٧٧

مائدة القارئ

أعدها : أبو نزار

ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا ، انهم لايعجزون ،

« قرآن كريم »

من حرس من وراء المسلمين فى سبيل الله تبارك وتعالى متطوعا لا ياخذه سلطان — لم يجبره حاكم — لم ير النار بعينه الا تحلة القسم فان الله تعالى يقول : وان منكم الا واردها .

حديث شريف

جند المسلمين

وصف رسل المقوقس جند عمرو ابن العاص فقالوا :

رأينا قوما الموت احب الى احدهم من الحياة ، والتواضع احب اليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ، وانما جلوسهم على التراب ، وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد فيهم من العبد .. واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم احد . يغسلون أطرافهم بالماء ، ويختشعون فى صلاتهم .

كان ويكون

أترى منـاما ما بعينى أنظر
القدس بفتح والفرنجة تكسر
ومليكهم فى السجن مأسور ولم
يك قبل ذاك لهم مليك يؤسر
قد جاء نصر الله والفتح الذى
وعد الاله فكبروا واستبشروا

بين الاعرابى وضيفه

نزل اعرابي ضيفا على صديق له ، فاكرم وفادته وقدم له طعاما ، واخذ يســـأله عن اهله فقال صاحب البيت لضيفه :

ما حال ابن عمير ؟ قال : على ما تحب قد ملأ الارض والحي رجالا ونساء .

قال : فما حال أم عمير ؟ قال : صالحة .

قال : فما حـــال الدار ؟ قال : عامرة باهلها .

قال : وكلبنا (ابقـــاع) ؟ قال : قد ملأ الحي نبحا .

قال : فما حال جملي زريق ؟ قال : على ما يسرك .

والتفت صاحب البيت الى خادمه ، وقال له : ارفع الطعـــام . فرفعه ولم يشـــبع الضيف ، ثم قال المضيف لضيفه :

يا مبارك الناصية . أعد على ما ذكرت .

قال : سل عما بدا لك .

قال : فما حال كلبي (ابقـــاع) ؟ قال : مات . اختنق بعظمة من عظام جملك زريق .

قال : أومات جملي زريق ؟ قال : نعم من كثر نقل الماء الى قبر أم عمير .

قال : أوماتت أم عمير ؟ قال : نعـــم من كثرة بكائها على عمير .

قال : أومات عمير ؟ قال : نعم ســـقطت عليه الدار .

فجرى وراءه يضربه بالعصـــا . فهرب منه وولى .

ابو حنيفة والمغنيات

مر ابو حنيفة على جماعة يتنزهون في بستان . وكان معهم مغنيات يغنين ، فلما وقف عليهن سكتت المغنيات . فقال : قد احسنتن . فعوتب في ذلك كيف تستحسن غناءهن . هذا رضاء منك بمعصية الله . فقال : قلت لهن احسنتن حين غنين أو حين ســـكتن ؟ فقيل : بل حين سكتن . قال الله أكبر . أردت احسنتن في السكوت ، لا في الغناء .

فراسة سائل

طاف سائل ضرير بشـــوارع (أصفهان) يســـأل الناس على عادته ، فأعطاه رجل رغيفا ، فدعا له السائل ، وقال : رد الله غربتك ، فقال المتصـــدق : كيف عرفت أني غريب ، وأنت أعمى ؟ قال : لأني اســـأل الناس في هذه المدينة ثلاثين سنة ما اعطاني احد رغيفا صحيحا .

لا أدرى

قيل للشعبي : أما تستحي من كثرة ما تسأل ، فتقول : لا أدرى ، فقال : لكن ملائكة الله المقربين لم يستحوا حين سئلوا عما لا يعلمون ان قالوا : « سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم » .

وصـــية

عاد رجل مريضا ، فقال له : ما تشتكي ؟ قال : وجع الخـــاصرة . قال : والله كانت علة ابى فمات منها ، فعليك بالوصية يا أخي ، فدعا المريض ولده ، وقال : يا بنى أوصيك بهذا . لا تدعه يتقل على بعد هذه .

صوت من الحرم الشريف

في كل شبر من بلادي ، فوق الجبال .. وفي الوهاد
صوت يرن .. بمسمعي ويقول : حي على الجهاد !

* * *

صوت من الماضي سرى عبر القرون .. مزمجرا
ملأ الدنى حولي وأترعها .. لظى .. متفجرا !

* * *

صوت من الحرم الشريف وذؤابة الشرف المنيف
من منبع المجد التليد .. ومارز الدين الحنيف

* * *

دوى صداه مع الصباح فوق الربى .. وعلى البطاح
فاذا بـ (طيبة) كلها نشوى بالحان الكفاح

* * *

نشوى بماض خالد يزهو .. بكل .. مجاهد
وبحاضر .. متطلع يهفو .. لجيل .. صامد

* * *

جيل توشح بالبطوله ومشى على سنن الرجوله
يشدو ويصنع يمينه لا بالعمومة .. والخؤوله

* * *

ويعيش .. ما بين الامم كالنسر .. في الجبل الاشم
تطوى جناحاه الجوا ء .. وتستريح .. على القمم !

[illegible]

صوت من الماضى البعيد   دوى مع الصبح الوليد
القيت سمعى .. نحوه   وسبحت فى الأفق المديد

❊ ❊ ❊

ارنو الى دنيا العرب   حيرى .. تمزقها الريب
صرعى .. بشؤبوب من الأهواء .. فى دمها انسكب

❊ ❊ ❊

غرقى بطوفان خبيث   مسخ القديم مع الحديث
طوفان الحاد تجلبب .. بالكتاب .. وبالحديث

❊ ❊ ❊

واظل ارنو .. باكتئاب   لمصيرنا .. عبر الضباب
عبر الضياع الأكمه .. المسدود .. خلف خطى السراب !!

❊ ❊ ❊

ويرن فى اذنى الصدا   مستصرخا .. مستنجدا :
القدس تنهشها الوحوش.. وتستبيح المسجدا !

❊ ❊ ❊

فتعود تعصف فى دمى   روح البطولة .. والفدا
واقول . يا ارض القداسة   .. والشهامة .. والابا

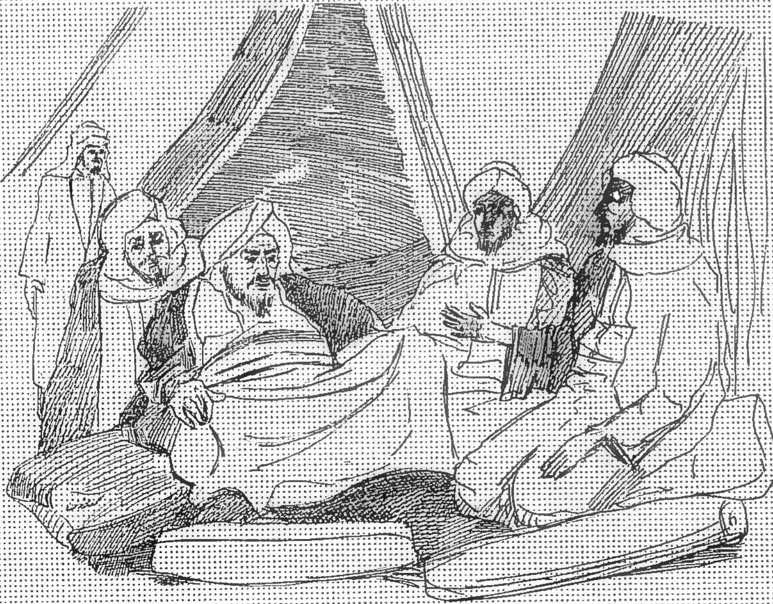
❊ ❊ ❊

سنعود رغم الغاصبين   .. ورغم .. تجار الفنا
سنعود .. فانتظرى مواكبنا .. فقد حان اللقاء !!



مسرحية إسلامية من وحي القرآن

بقلم عبد الحميد غوابة



الشخصيات :

- ★ سفان بن مسعود ... مولى عمر بن الخطاب
- ★ مداح بن ثابت ... سيد من الخزرج
- ★ هلال بن امية ... من المهاجرين
- ★ صفوان بن مرة ... سيد من الخزرج
- ★ عبد الله بن ابى ... زعيم الخزرج
- ★ زيد بن ارقم ... فتى من المهاجرين
- ★ اسيد بن حضير ... سيد من المهاجرين
- ★ عبد الله بن عبد الله بن ابى ... ابن زعيم الخزرج .

المنظر الأول

المنظر : صحراء مترامية بها خيام متناثرة .. وفي زاوية من الزوايا عين ماء .. والمسلمون يملأون جرارهم منها وسفان بن مسعود ومداح بن ثابت يتنافسان على ملء جرارهما من العين ..

سفان : يدفع بيده مداحا بعيدا عن الماء .

مداح : (ينظر اليه في غضب) تدفعنى عن الماء يا سفان بن مسعود ..

سفان : (في سخرية) هه .. لم لا .. وانت تزاحمنى يا مداح بن ثابت ؟

مداح : من حقى ان ازاحم لأملأ جرتى .. فماء العين قليل .. واخشى ان ينضب الماء ..

سفان : (مقاطعا) ان تاخذ حاجتك من الماء .. اما انا فلا يعنيك اخذت من الماء ما انا في حاجة اليه ام لا ؟ ..

مداح : ينحيه من طريقه في احتقار ويتقدم من العين وينحنى لملء الجرة .

سفان : (يجذبه من ثيابه) لا .. لا .. لن ادعك تملأ الجرة قبلى ..

مداح : (باحتقار) أنت .. انت ايها العبد تمنعنى عن الماء .. هه .. هذا والله اكثر مما يحتمله انسان من عبد لا يساوى شروى بعير ..

سفان : (ملوحا بالجرة) اذا لم تتركنى والله لاحطمن هذه الجرة فوق راسك ..

مداح : (متهكما في غيظ) تحطم الجرة فوق راسى يا عبد الشؤم .. انك اجبن من ان تفعل ذلك .. (متوعدا) واذا فقدت عقلك وجرؤت .. اتكون نهايتك على يدى ايها العبد .. القذر ..

سفان : (متحديا في سخرية) تهددنى بالقتل يا هذا .. ها .. ها .. تظن ان مولاى عمر بن الخطاب يسكت .. انه والله سينتقم لى .. ولن يدعك تمشى بين الناس وانت قاتل مولى من مواليه ..

مداح : (يدفعه الى الارض فيسقط) تحسبنى اخاف من مولاك .. امك لواهم ايها العبد .. فما خاف مداح من احد حتى ولو كان سيدك عمر بن الخطاب ..

سفان : (يقوم من سقطته ويندفع ناحية سفان ويمسك به) لقد جاوزت الحد يا مداح بن ثابت .. والله لأؤدبنك (ينهال عليه بالجرة فتتهشم وتتناثر) وليكن بعد ذلك ما يكون ..

مداح : (صائحا) يا معشر الأنصار .. يا معشر الأنصار ..

يهرول عدد من الانصار فيمسكون بسفان .. فيصيح هو الآخر .. يا معشر المهاجرين .. يا معشر المهاجرين .. فيسرع اليه عدد من المهاجرين .. ويتماسك المهاجرون والأنصار بالأيدي .. بينما يظل مداح ينادي يا معشر الأنصار .. وسفان ينادي يا معشر المهاجرين ..

هلال : (يفرق بين المتعاركين ويصيح فيهم) ما هذا يا قوم .. كفاكم عراكا يا قوم .. انكم والله بنداءاتكم .. وتماسككم بالأيدي .. تعودون بنا القهقرى الى ايام الجاهلية التى قضى عليها الاسلام .. وعفى عليها القرآن .. ونهانا عنها رسول الله .. هيا افيقوا الى انفسكم قبل ان يتطور العراك الى قتال ...

(يكف المتعاركون ويلتفون بهلال بن امية)

صفوان : لقد اعتدى مولى عمر بن الخطاب على سيد من ساداتنا يا هلال ابن امية ..

هلال : لهذا السبب يقتتل المهاجرون والأنصار بعد ان آخى بيننا الاسلام يا صفوان بن مرة ..

صفوان : الاعتداء على واحد من الأنصار .. اعتداء على كرامتنا وعزتنا .. وشرفنا .. ولن يغسل هذه الاهانة الا السيف ..

هلال : لا تهول الأمر الى هذا الحد .. انه خلاف بين اثنين من المسلمين ..

صفوان : (في غيظ) تقول خلاف بين اثنين من المسلمين .. انك بهذا تسوى بين عبد وبين سيد من سادة الخزرج ..

هلال : لست انا الذى سوى بين العبد والسيد .. انما هو ديننا الذى سوى بين الناس جميعا لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى ..

صفوان : لا يمنع هذا من تأديب هذا العبد كيلا يتمادى في اعتداءاته .. وحتى يكون عبرة لغيره من العبيد ..

هلال : لا أنكر عليك ذلك يا أخا العرب .. انما الذى يؤدبه هو مولاه .. اما ان تؤدبه أنت فقد يؤدى الى التنابذ بين المسلمين .. وربما يتطور التنابذ الى امتشاق السيوف .. ونحن فى موقف حرب وجهاد مع اليهود والمشركين والكفار .. والاسلام في حاجة الى كل قطرة دم من دمائنا ..

صفوان : (مهددا وملوحا بسيفه) والله لنشعلنها حربا بيننا وبين المهاجرين اذا لم يؤدبوا عبيدهم ..

المنظر الثاني

المنظر : خيمة مؤثثة الرياش .. عبد الله بن ابى يتصدرها وحوله نفر من الخزرج يتحدثون .. ويجلس على باب الخيمة زيد بن ارقم في تكاسل واسترخاء .. بينما اذنه تتصنت الى احاديثهم ..

عبد الله : (في غيظ مكتوم) علمتم ما كان من العبد سفان بن مسعود ؟

صفوان : (يزفر في الم وغيظ) ايه .. كنت والله سأشعلها نارا بيننا وبين المهاجرين لولا هلال بن أمية ..

عبد الله : ما هكذا تساس الامور يا صفوان .. المهاجرون كثرة ونحن

قلــة ..

صفوان : اذا ما الذي تراه يا عبد الله بن أبي ؟ .

عبد الله : ما ترونه يا بني الخزرج ..

صفوان : ليس لنا أن نرى غير ما تراه .. فأنت سيدنا .. وزعيمنا ..

عبد الله : (يضرب كفا بكف) عبد يمنع سيدا من سادة الخزرج عن الماء الذي احتفرناه بأظافرنا .. ثم لا يعاقب ..

صفوان : ومن ذا الذي يؤدبه ؟

عبد الله : سيده ومولاه ..

صفوان : تعني عمر بن الخطاب .. (متهكما) لا اظنه يفعل ذلك ..

عبد الله : لم يا صفوان ؟

صفوان : تراه الآن فخورا بما فعله العبد مع سيد من سادة الأنصار ..

عبد الله : هذا ما فعلتم بأنفسكم .. لقد أفسحتم لمحمد واصحابه مكانا بين ظهرانيكم يوم أن طردتهم قريش وجاءوكم المدينة مهاجرين .. لا يملكون قــوت يومهم .. فتكاثروا علينا وبداوا ينافروننا في ديارنا .. ويتجــرون بأموالنا .. ويتملكون الأرض والدور .. وها هم أولاء يتحكمون فينا .. ويعاملوننا معاملــة السيد للعبيد .. لا يقيمون لنا وزنا .. ولا لحرماتنا قدرا .. ولم يبــق الا أن يطردونا من ديارنا ..

صفوان : مـا العمل اذا يا سيد الخزرج ..

عبد الله : نجليهم عن ديارنا ..

صفوان : (غير مصدق) نحن .. لا اظننا نستطيع بعد ان أصبحت لهــم الغلبة والزعامة في المدينة ..

عبد الله : ليس هناك مستحيل تحت الشمس .. ما عليكم عندما نرجــع الى المدينة الا ان تمسكوا أيديكم عــن مساعدة محمــد واصحابه .. تلقوهــم بوجوه مغلظة .. لا تحيوهم ولا تقبلوا منهم تحيــة .. وتمسكوا بناتكم اللاتي تزوجنهم في دوركم .. ومن ابت منهن الا أن تعود لزوجها .. اقتلوها دون رحمة أو شفقــة ..

صفوان :

ومداح :

وبقيــة : معا . نعاهدك ان نفعل ذلك وأكثر منه ..

الموجودين :

عبد الله : (حذرا) اذا تقاعستم ولم تفعلوا ما أشرت به عليكم .. فــلا تلومن الا أنفسكم فانهم والله عندما نعود الى المدينة ليخرجن منها الأعز الأذل ..

زيــد : (يقتحم الخيمة ويلوح بيده في وجه عبد الله) انك والله لأنت الذليل .. أما محمد فهو في عز من الرحمن .. ومنعة من المسلمين .. وقوة من الايمان ...و ...

عبد الله : (مقاطعا في غضب) من تكون يا هذا ؟

زيــد : (في تحد) زيد بن أرقــم ..

عبد الله : (باحتقار) ما سمعت بهذا الاسم .. ما علينا .. الا تعرفني يا فتى ؟

زيــد : أعرف أنك سيد الخزرج ..

عبد الله : تعرفه .. ثم تبلغ بك الجراة فتقول ما تقول ..

زيــد : ما قلت غير الحقيقة ..

عبد الله : أية حقيقة هذه التى تجعلك تتطاول على سيدك ..

زيـــد : (في سخرية) سيدى .. ها .. ها .. لا سيد لى غير الله .. اما انت فلا تعدو أن تكون انسانا مثلى .. ومثل بقية الناس ..

عبد الله : (منفعلا) اخسأ ايها الوقح ..

زيـــد : الوقح من يسب الناس .. ويرمى الأشراف بما ليس فيهم ..

عبد الله : لقد غرك والله حلمى يا هذا .. لئن تمسك عليك لسانك لقطعته اربا .. اربا ..

زيـــد : (ممعنا في سخرياته) أنت .. ها .. ها .. لا تقدر أن تصيـــب بعوضـــة .. فما بالك بزيد بن أرقم ..

عبد الله : يخرج عن وقاره ويقوم من مجلسه ويمسك بزيد .. ويحـــاول الاعتداء عليه .... فيدفعه زيد فيسقط عبد الله الى الأرض .. بينما يندفع زيد مسرعا من الخيمة وهو يصيح والله لأبلغن رسول الله بما تقولت عليه وعلـــى المسلمين .. أيها المنافق المخادع ..

عبد الله : (صائحا في انفعال ومشيرا بيده الى من معه) امسكوا الفتـــى يا قوم .. لا تدعوه يذهب الى محمد .. ائتونى به حيا أو ميتا .. هيا هيا ..

(يسرع صفوان ومداح خلف زيد بن أرقم بينما الباقون يساعدون عبد الله ابن ابى على القيام والعودة به الى مكانه) .

عبد الله : (في غضب ظاهر) لقد جاوز هذا الفتى الأحمق حده .. والله لئن عادوا به لأقتلنه حتى ولو ادى ذلك الى قتال محمد وأصحابه ..

(يعود صفوان ومداح ومن تابعهما دون زيد بن ارقم)

عبد الله : لم تقبضوا على هذا اللعين ..

مداح : ضيقنا عليه الخناق .. وطاردناه من مكان الى مكان .. فكان يفلت منا كما تفلت الظباء .. واصبناه بسهامنا .. فكان يتلقاها دون ان يتوقف عـــن الجرى .. ثم دخل خيمة النبى .

عبد الله : تبا لهذا الشقى .. سيثير محمدا علينا .. وانها الحرب ..

صفوان : سأذهب الى محمد لأكذب مقالة هذا الشقى .. وسأعرف كيف اخرس لسانه .. ولأجعلنه سخرية الساخر .. واضحوكة الضاحك ..

المنظر الثالث

خيام متناثرة .. هلال بن امية يجلس أمام خيمته .. زيد بن ارقم واسيد بن حضير يخرجان من خيمة النبى ..

هلال : (مناديا وملوحا بيده) يا زيد .. يا أسيد .. تعاليا ..

(يتجه زيد وأسيد ناحية هلال .. ويسلمان عليه .. ويجلســـان بجواره)

هلال : (يوجه الحديث الى زيد) ما كنت أحب يا زيد أن تنبىء النبى بما كان بينك وبين عبد الله بن أبى ..

زيـــد : (متعجبا) لا أنبىء النبى بما كان بينى وبين سيد الخزرج .. لقـــد اقسمت أن ابلغ رسول الله .. وما كان لزيد أن يحنث في قسمه .. ثم لم تعاتبنى في هذا الأمر يا هلال بن امية ؟

هلال : خشيت من الفتنة بين المسلمين .. ونحن في موقف لا نحســـد عليه .. فهاهم أولاء اليهود والمشركون والكفار يجمعون جموعهم لينقضوا علينا .. ويطفئوا كلمة الله .. ونحن أحوج ما تكون الى وحدة الصف .. ووحدة الكلمة .

زيـــد : لقد قدرت الموقف .. فوجدت أنه من صالح المسلمـــين أن يعـــرف

رسول الله ما كان من أمر عبد الله بن أبي .. حتى يرى النبي رأيه في هذا المنافق قبل أن يستفحل أمره .. ويمشي بالوقيعة بين المهاجرين والأنصار .. والأنصار هم سندنا وعضدنا .. وحماة ظهورنا واعراضنا .. واذا انكشفت ظهورنا .. سهل على العدو أن يأتينا من الخلف . .وينال منا ما يريد ..

أسيد : ليتك معنا .. وسمعت ما دار في مجلس رسول الله من هذا الأمر .

هلال : (في لهفة) حدثني بربك .. ولا تخف عني شيئا يا أسيد بن حضير .

أسيد : ما أن انتهى زيد بن أرقم من قص ما حدث من سيد الخزرج حتى صاح صفوان بن مرة .. لا تصدق يا رسول الله هذا الفتى الغر الأبله الذى لا يدرك مغبة افترائه وكذبه على سيدنا ومولانا .

زيـد : كذب والله أستل لسان صفوان عندما وصفني بالكذب والافتراء .. لكن رسول الله وصاحباه الصديق وعمر بن الخطاب أشاروا علي بالتزام الهدوء .. فسكت على مضض وكشفت لهم عن صدرى وظهرى .. وقلت لو كنت كذبا كما يقول صفوان .. ما الذى يدعوهم لأن يرمونى بسهامهم فى مقتل ويطاردونى ليحولوا بينى وبين المثول بين يدى رسول الله ..

هلال : ما عرفنا عنك الكذب يا زيد بن أرقم ..

زيـد : وزاد غضبي وثورتي أن صفوان بن مرة لم يتورع أمام النبي وصحابته أن يمتن على المهاجرين بما فعله سيد الخزرج يوم أن جئنا المدينة مهاجرين .. وما قدمه للمسلمين من أموال ومساعدات .. وما أسهم به وقدمه في حرب اليهود والمشركين والكفار ..

هلال : (فى سخرية) ها .. ها .. لم نر والله من هذا الرجل ما ينبىء عن صدق ايمانه .. وحسن اسلامه .. انه يعمد الى محاربتنا في أرزاقنا .. وفي أموالنا .. وفي أنفسنا .. واثارة الفتنة بيننا وبين الأنصار أبناء عمومتنا وأصهارنا .. ولو استطاع أن يلقي بنا الى مهاوى الصحارى لفعل دون أن يرعى حرمة الاسلام ولا حرمة القرابة أو حرمة النسب .. وموقفه في غزوة أحد خير دليل على ما أقول ..

أسيد : كان موقفه مخزيا كل الخزى .. انصرف هو وقومه عن قتال المشركين الى جمع الغنائم والاسلاب مما مكن قريشا من ظهورنا .. وكادوا يغلبوننا على أمرنا .. لولا نصر الله ورعايته ..

زيـد : لا تنسيا موقفه المجلل بالعار من مواليه اليهود عندما رفض رسول الله أن يشركهم معه في القتال الا اذا أسلموا .. حتى يأمن جانبهم .. ويطمئن اليهم .... وكان على هذا المنافق أن يدعو مواليه الى الاسلام .. لكنه أمرهم بالانسحاب .

هلال : ليته أمر اليهود بالانسحاب وبقي هو يقاتل معنا .. لقد انسحب هو الآخر ومعه قومه والحرب على أشدها .. أملا في أن يفت ذلك في عضدنا .. وتهزمنا قريش .. ونتفرق في الأرض وتخلو له المدينة يحكمها .. ويتحكم فيها حسب أهوائه الدنيئة ..

زيـد : (يوجه الحديث الى هلال) كنت أحب أن تكون معنا .. وترى الغضب الذى بدا في عيون المسلمين .. وهياج عمر بن الخطاب .. وثورته العارمة .. لو كان ابن أبي أمامه لحظتها .. لكان حطمه .. ومزقه قطعا .. قطعا ..

هلال : الى هذا الحد بلغت ثورة ابن الخطاب .. ترى ما الذى أثاره وأغضبه ؟

زيـــد : عندما قلت لرسول الله ان هذا الرجل قال لقومه فيما قال .. والله اننا ومحمدا واصحابه كما قال الألون سمن كلبك يأكلك ..

هلال : (في غضب ظاهر) تبلغ القحة والنذالة بهذا الرجل هذا المبلغ .. وامام من ؟ امام رسول الله وسيد المرسلين .. انه والله لا يستحق أقل مـــن القتـــل ..

زيـــد : هذا ما دعا اليه عمر بن الخطاب .. طلب من رسول الله ان يأمر بلالا ليقتله ..

اسيد : خشيت ان يستجيب رسول الله .. فتدخلت في الأمر .. ودعوت عمر بن الخطاب الا يثير ثائرة النبى .. وقلت له انك لتذكر يا ابن الخطاب اننا يوم أن جئنـــا المدينـــة مهاجرين .. أعـــدت الخزرج تاجا مـــن الجواهر والزمـــرد واليواقيت ليتوجوا عبد الله بن ابى ملكا عليهم .. وانه ليرى ان المهاجرين استلبوا ملكه .. وانتزعوا سلطانه و ..

هلال : (مقاطعـــا في ضيـــق) كل هذا لا يبرر مـــا يفعله ضد الاســـلام والمسلمين ..

اسيد : لم اكن ابغي تبرير جريمته .. انما اردت الرفق به .. والصفـــح عنه .. عله يتوب الى الله .. ويحسن اسلامه .. ويصدق ايمانه ..

هلال : ما كان جواب رسول الله عندما طلب منه ابن الخطاب ان يأمر بلالا ليقتلـــه .

زيـــد : خفق برأسه الى الأرض طويلا .. ثم رفعها وتلا علينا ..

« هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وللـــه خزائن السموات والأرض .. ولكن المنافقين لا يفقهون .. يقولون لأن رجعنـــا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .. ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .. ولكن المنافقين لا يعلمون » .

الجميع : (في ايمان) صدق الله العظيم ..

زيد : تدرى ما الذى فعله بعد ان سمع هذه الآيات البينات .. لم يتمالك نفســه ... وصاح يا رسول الله .. ليس بعد قول الله تعالى الا أن تأمر بـــلالا ليأتينا برأســه هذا المنافق الآن ..

هلال : (متســائلا) ووافق النبى ..

زيـــد : نظر الى ابن الخطاب طويلا .. ولم يتكلم .. فآثرنا الانصراف دون أن نعرف .. ما الذى استقر عليه رأى رسول الله ..

هلال : لا اقل من قتل أس النفاق أو ابعاده عن المدينة ..

أسيد : ارى على البعد عبد الله بن سيد الخزرج قادما نحونا .

زيـــد : ربما يكون قد علم ما كان من امر أبيه ..

(يتقدم ابن ابن أبى من مجلسهم فيحييهم .. ثم ينتحى به اسيد بن حضير ويسر في أذنه ما نزل من القرآن في حق أبيه)

ابن ابن ابى : انى لأخجل والله من لقائه بعد ما كان من ابى .. لقد وضعنى أبى بين شقى الرحى ..

أسيد : (يربت على كتفه) لا عليك يا بنى .. اذهب الى رسول اللـــه .. والتمس منه الصفح والمغفرة ..

ابن ابن ابى : لانى لأخجل والله من لقائه بعد ما كان من ابى ..

أسيد : (يدفعه بيده في رفق ! هيا .. هيا سأكون في صحبتك .. ولن يضن

(البقية ص ٩٢)

بالخير والفقه ، والذين لا تقبل منهم كالضحاك والسدى . ويختم مقدمته ببحث عن الحروف فى أوائل سور القرآن الكريم .

هذا هو السفر الجليل الذى قدمه الينا محمد بن جرير الطبرى ، وهو شاهد صدق على فضل هذا العالم الكبير ، ومظهر خير من مآثره الخالدة .

بقى لنا من الطبرى جهده القيم فى فن التاريخ ، وهو جهد رائع ، حقق الكثير ، مما قصر عن تحقيقه ، ورسم صورة واضحة المعالم ، لعهد مشرق للامة الاسلامية ، لولاه لضاع معظمها فى مجاهل النسيان . وكتابه تاريخ الرسل والملوك أو « تاريخ الامم والملوك » هو أيضا عمدة الابحاث التاريخية ، فقد دخل الطبرى ميدان التاريخ مفسرا ومحدثا ، طبق على جزئيات بحثه التاريخى ، وكلياته ، كل ما اتبعه من قواعد فى تفسيره ، فجاء كتابه تتمة للتفسير ، وأراد أن يوضح فى تاريخه ، مشيئة الله فى الخلق وأحوالهم ، وأن يجعل منه دليلا على فعاليات الامة التى يكتب تاريخها ، وهو قد كتب تفسيره أولا ثم اتبعه بكتابه التاريخى هذا ، وانتهى من تاليفه سنة ثلاث وثلاثمايةهجرية ، والدليل على ذلك انه قد ضمنه من الاحداث ما وقف به عند نهاية سنة اثنتين وثلاثماية . ويروى ان كتابيه هذين كانا اكبر مما هما عليه الآن حجما ومادة ، وأن الذى بين أيدينا مختصران للاصلين الكبيرين وهو من خيرة ما كتب فى مادته حتى يومه ، فبالاضافة الى اتساعه وشموله ؛ فقد اتبع فى تأليفه نظام السنين ، وهو نظام فى التاريخ أكثر دقة ، وأظهر للفترة التى يؤرخ لها ، أما امانته فى النقل فانها تبرز فى طريقته فى البحث ، فهو يختص كل صاحب اختصاص بمرحلة تاريخية ، أو أمة من الامم وينقل عنه مشافهة او كتابة متبعا طريقة الرواية بالسند الذى يوصل الى الراوى ، وهى نفس الطريقة المتبعة فى اثبات الاحاديث النبوية ، ولكنها ليست بنفس المستوى من الدقة ، فقد كان يتجوز بعض الروايات الضعيفة ، وكان احيانا لا يصرح بأسماء رواة ، مكتفيا بحسن ظنه بهم ، أو معرفته بصدقهم ، ويمكن تقسيم الكتاب الى قسمين ، يتناول القسم الاول فترة ما قبل الاسلام ، فبعد المقدمة يبدأ بذكر آدم ، وأصل الخليقة ، ويتعرض للانبياء حسب ترتيبهم فى التوراة مسجلا اخبارهم ، ثم يخصص للساسانيين فصلا ، وللرومان ، والعرب ، واليهود فصولا ، فيروى تاريخ الفرس منذ أقدم الازمنة ، حتى عهد كسرى ابرويز ، وهو الذى حدثت فى زمنه معركة « ذى قار » ثم يتابع الى عهد يزدجرد بن شهريار بن كسرى ، وهو الذى انتهت به أيام الفرس على أيدى المسلمين . ويؤرخ للملوك الروم منذ دخلت اليهم المسيحية ، واتخذوها دينا لهم ، الى عهد الاسلام ، وبتفصيل يكاد يكون تاما . أما العرب فهو يتحدث عن تاريخ ثمود ، وطسم ، وجديس ، وجرهم ، كما يذكر غزو بختنصر ، للعرب فى زمن معد بن عدنان . وأرخ لملوك اليمن ، وعلاقتهم بالاحباش وبالفرس . ولبعض المشهورين مثل عمرو بن الظب ، والزباء . ويتناول فى القسم الثانى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخباره وغزواته ، ثم سيرة الخلفاء الراشدين وفتوحهم ، فتاريخ الدولة الاموية ، فالعباسية حتى سنة اثنتين وثلاثماية ، وقد جاء من بعد الطبرى محمد بن عبد الملك الهمذانى المتوفى سنة ٤٨٧ هجرية ، فالف ملحقا سماه « تكملة تاريخ الطبرى » تابع فيه تسجيل الاحداث التاريخية حتى سنة سبع وثمانين وأربعمائة هجرية . وذيل له أيضا عريب بن سعد القرطبى بذكر حوادث سنة ٣٦٥ هجرية . كما اختصره تلميذه أبو محمد الفرغانى بكتاب سماه « المذيل » أو « أصلة التاريخ » . وبقى ان جاء بعده مصدرا نقل عنه الكثيرون الاحداث كما أوردها كابن مسكويه ، و « ابن الاثير » .

هذه اللمحة الموجزة عن الامام الفقيه ، والمفسر الكبير ، والمؤرخ النابه ، أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، تعطى صورة قد لا تكون محددة المعالم الى الحد الذى تبرز فيه بكل أبعاده صورة هذا العالم الجليل ، الذى خدم الثقافة الاسلامية خدمة لا مزيد عليها .

ولعل المجال المتسع لتناول الجوانب المتعددة من حياة الطبرى ، متسع جدا ، تنتظر المنصفين ، والغيورين على سمعة الامة الاسلامية ، عسى أن تبعث أمثال تلك الدراسات الجادة الهمة فى نفوس الشباب المسلم ، وتقدم لهم نموذجا لطراز كثر أمثاله فى أمتنا .

كتاب الشهر

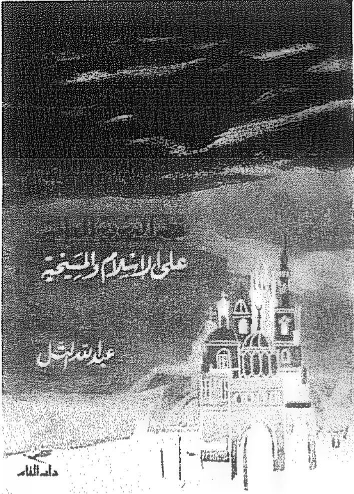
خطر اليهودية العالمية على الا...

تاليف : عبد الله التل

عرض وتلخيص الاستاذ : بسام الاسطوانى
المساعد العلمى لخبير الموسوعة الفقهية ـــ الكويت

من المؤسف المؤلم حقا ان نغمض اعيننا ونتشاغل بالخلافات والمشاكل الداخلية عن الاعداد والاستعداد على كل صعيد وفى كل ميدان عن تعبئة امكانيات الامة العربية الاسلامية وجميع طاقاتها الروحية والمادية والفكرية لمواجهة خطر اقتحم علينا أرضنا ومقدساتنا ونال من كرامتنا ووجودنا منذ اكثر من عشرين عاما وما يزال .. ومن اكبر دواعى العجب ان يكون هذا الخطر الصهيونى مكشوف الخطط واضح الاهداف ثم لا نعيره الاهتمام الذى يستوجبه ويستحقه .. واغرب من كل ذلك ان نمين عدونا على انفسنا ونتيح له الفرصة الكافية ليخطط ويستعد بكل عزم وتصميم ويضع خططه بعد ذلك موضع التنفيذ .. ونحن غافلون او متشاغلون عنه ، بل معينون له بالخلافات والمظالم المتنوعة التى شتت وحدتنا الوطنية ، وصدعت قوانا الروحية ، واضعفت قوانا المادية والعسكرية حتى تمكن عدونا او حتى مكناه من انزال ضربته الثانية المفجعة ، هذه الضربة الموجعة المذهلة التى اجبرت قادة العرب على الاعتراف بأننا فى المعركة الاخيرة قد واجهنا التنظيم المحكم والعلم والتكنولوجيا بما لا يفوقه ، ولا يماثله ، فحلت بنا النكبة الفاجعة كنتيجة طبيعية لذلك ..

ان الحقيقة الاولية التى تناسيناها ولا بد من تسجيلها فى هذا الصدد للذكرى ، هى أننا نسينا الله فحق علينا العذاب ، وأهملنا تنمية القوة الروحية التى خلدت بطولات أجدادنا بأروع معانى الخلود والمجد ، واستبدلنا بها شعارات جافة فارغة وفلسفات مادية مستوردة غريبة كل الغربة عن روح أمتنا المسلمة وطبيعتها ومصالحها . وهى بمعظمها من نتاج الفكر اليهودى المكشوف المعروف .. فلا غرابة ان تفشل هذه الشعارات والافكار فى قيادة جماهيرنا المؤمنة بدينها وقيمها ، وان تقوم العزلة الموحشة بين



...سلام والمسيحية

اصحاب تلك الشعارات والافكار وبين جموع الشعب العربي المسلم ، فكانت النتيجة الطبيعية أن خسرنا الجولة الثانية وتجرعنا كأسها المر وغصتها الخانقة ..

وسيكون هذا شأننا في كل جولة مقبلة ما دمنا متنكبين لطريق الاسلام الذى فيه لا في غيره وحدتنا وقوتنا وعزنا . ومادمنا مهملين قوانا الروحية الفعالة وهى القوة التي لا تغلب لأنها قوة من عند الله جبار السموات والارض ورحمانها .. فهل نتعظ ؟! وهل نستيقظ ؟!

وبعد هذه المقدمة اعيد القول انه لمن المؤسف المؤلم حقا أن تكون خطط عدونا مكشوفة واضحة بل معلنة منشورة منذ زمن طويل وفى الشرق والغرب وبلغات متعددة ثم لا نعيرها الاهتمام اللازم لمقاومتها قبل تمكنها من السير الى غاياتها المعروفة المرسومة ، ولقد جهد كثير من مفكرينا وعلمائنا المخلصين بتتبع خطط الصهيونية وكشفها بجهود صادقة أمينة واعية ليضعوا هذا الخطر أمام اعين القادة والمسئولين وأمام أعين الشعوب عساهم يدركون ابعادها وخطورتها .. فيتحركون لاحباطها قبل فوات الاوان .. ومن هؤلاء المفكرين العاملين قائد عربي مؤمن اكتوى بنار الجولة الاولى فخاض معارك الشرف مدافعا عن القدس ومسجدها الاقصى المبارك وجميع مقدساتها ، وقدر له العيش بعد ذلك الى أيامنا هذه ، فظل أمينا على رسالة الامة العربية الاسلامية ، ومجاهدا لقضيتها ، فأشرع قلمه المؤمن الجرىء بعد أن اجبر على اغماد سيفه ليتابع جهاده المبارك ضد اليهودية العالمية بفكره وقلمه ، وقد يفعل الفكر والقلم فى بعض الاحيان اكثر مما يفعله السيف والبارود .. ذلك هو عبد الله التل قائد معركة القدس عام ١٩٤٨ الذى قدم كتابه القيم للأمة العربية الاسلامية ولبقى البشر جميعا بعنوان « خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية » وهو الكتاب الثانى الذى اخرجه المؤلف بعد كتابه الاول عن « مذكراته فى حرب فلسطين » واذا كان هذا الكتاب العظيم الشأن ليس من كتب هذا الشهر بل هو صادر قبل ذلك ولكنه بما يتضمنه من معلومات ذات أهمية ثابتة جدير بأن يعتبر جديدا بعد الكارثة الاخيرة وأن تسلط عليه الاضواء من جديد . ولذا نقدمه اليوم لقراء هذه المجلة .

صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب فى القاهرة عام ١٩٦٤ ، وهو بحق يعتبر احسن واكمل دراسة واعية عن قضيتنا الكبرى .. فلسطين .. يبدأ بهـا من اصولها وجذورها متسلسلا معها فى حلقاتها الدولية والمحلية الى حاضرها الاليم .. ومنتهيا الى مقترحات وآراء صريحة وجريئة وقيمة جديرة بالاهتمام كله لأنها اصدق تعبير عن الوعى السليم للقضية وأبعادها .. فلنسر مع المؤلف فى كتابه الخطير هذا خطوة خطوة لنتعرف على مجمل موضوعاته وأبحاثه :

يقع الكتاب فى ٤٥٠ صـفحة من القطع الكبير الابيض الصقيل ومزود بالخرائط والوثائق الهامة وهو جيد فى ترتيبه وتبويبه وفى اخراجه وطباعته ، يبدأ بمقدمة قصيرة وينقسم بعدها الى قسمين كبيرين :

فالقسم الاول :

مكون من ثلاثة عشر فصـلا تبدأ بالعـدوان اليهودى الاول القديم على فلسطين وقد أوضح المؤلف فى هـذه الفصول الصـلات الاولى بين اليهـود والمسيحية ، وبينهم وبين الاسلام ، وشرح حقيقة الدين الذى يمارسه اليهود من توراتهم وتلمودهم ومقررات حكمائهم ، موضحا كيف حرف احبار اليهود التوراة بعد قرون من نزولها ، وحشوها بأفحش القول وابشع الحقد ضد المسيح عليه السلام والمسيحية وضد الاسلام والانسانية وما ضمنوها من التعاليم والمبادىء الخطرة الاجرامية والقيم الفاسدة التى ينكرها ويأباها كل ذى ضمير حى ووجدان سليم ، مستشهدا لكل ذلك بنصوص صريحة من التلمود والتوراة ووقائع التاريخ الغابر والحاضر وكلها تقشعر له الابدان استفظاعا ، وتتقزز النفوس من خستها وبشاعتها وهولها ، وكثير منها لولا صدق النقل وأمانته ودعمه بالارقام والتواريخ والاسماء والامكنة والازمنة والمراجع لخاله القارىء مجرد تشنيع ومبالغات من نسج الخيال ولكنه الواقع المدعوم بأصدق الادلة القاطعة الواضحة ، وقـد استعان المؤلف لذلك بذكر بعض خطط اليهودية العالمية ومبتكراتها التهديميـة وأدواتها التنفيذية من ماسونية وصهيونية ولا سامية وشيوعية للسيطرة على العالم ، ويختتم المؤلف فصول القسم الاول بالحديث عن نجاح اليهودية العالمية وحكومتها المستورة فى تدمير القيم الاخلاقية فى دول الغرب الاعمى الضال ، وسيطرة اليهود على أغلب دول امريكا واوربا وعلى عصبة الامم ومن بعدها على الامم المتحدة ، ويثبت المؤلف لبيان مدى هذه السيطرة الفعلية اسماء الشخصيات اليهودية الصريحة التى شغلت وما تزال اهم المراكز والمناصب الحساسة والقيادية فى كل من امريكا وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفياتي وغيرها من الدول وفى الهيئات الرئيسية فى عصبة الامم وهيئة الامم المتحدة ومحكمة العدل الدولية وسائر المنظمات الدولية .

والقسم الثانى :

مكون من عشرة فصول تبدأ من العدوان اليهودى الثانى الذى بدأ منـذ الاحتلال البريطانى ١٩١٧ م وتنتهى بالعدوان اليهودى السادس لاغتصاب المياه العربية فى الايام الاخيرة ، وتضمنت هذه الفصول مراحل تنفيـذ الاعتداءات اليهودية الستة وما لازمها من غدر بريطانى ووحشية يهودية واجرام امريكى

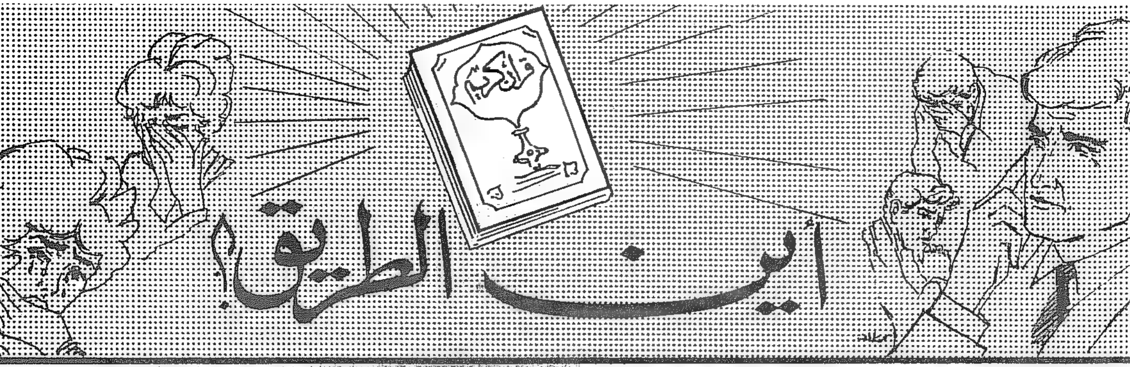
خبيث ساعد على قيام الدولة المجرمة « اسرائيل » وجاء الفصل العاشر والاخير متضمنا رأى المؤلف فى الحل الصحيح للمشكلة . موضحا سبيل النجاة مما تعانيه الامة العربية وتعانيه الانسانية جمعاء من ويلات واخطار على يد اليهودية العالمية ، وهو رأى كما قلت آنفا جدير بكل عناية واهتمام لانه تعبير صادق عن وعى تام للقضية وحقيقة أبعادها وخطورتها ، كما أنه أصدق تعبير عن الادراك العميق لروح الامة العربية الاسلامية وامكانياتها وطاقاتها الجبارة الهائلة التى أهملت أشد الاهمال مع شدة الحاجة اليها ، فكانت النكبة وكانت الهزيمة .

والجدير بالذكر فى موضوع هذا الكتاب الهام القيم ما أبداه المؤلف فيه من اهتمام عميق بالجانب المقدس للقضية . . وقليل هم الكتاب والمؤلفون الذين أعطوا هذا الجانب ما يستحقه من الاهتمام ، ومرد ذلك حسب تعبيره الى ايمانه الذى لا يتزعزع بأن قضية فلسطين دينية مقدسة فى المقام الاول ، وأن أية معالجة لها لا تكون على أساس دينى جهادى ، مكتوب عليها الاخفاق لا محالة ، وأن ايمانه هذا مبنى على تجارب عسكرية عاشها وحقائق تاريخية لمسها ووعاها ، وقد استشهد لذلك بمعارك الحرية الحديثة والقديمة التى خاضها المسلمون ضد الغزاة المستعمرين وكسبوا فيها النصر المؤزر بهتاف « الله اكبر » ومن هذه المعارك الحديثة ثورة الجزائر الكبرى التى هزمت الاستعمار الفرنسى وقضت على خرافة فرنسة الجزائر ، يوم خيل للاستعمار انه استطاع القضاء على عروبة الجزائر واسلامها فجاءت الثورة ، وسلاحها الاول جهاد دينى فى سبيل الله ، مخيبة لآمال الغرب ومؤكدة عظمة الطاقة الكامنة فى الاسلام فتمت المعجزة واستقلت الجزائر بعد استعمار فرنسى بشع دام ١٣٠ عاما كاد خلالها أن يهلك الحرث والنسل ، وأن يقضى على اللغة العربية ، بيد انه أخفق فى القضاء على الاسلام ، فحرر الاسلام الجزائر .

ويوجه المؤلف اللوم الى دعاة العلمانية (لاييك) فى الوطن العربى الذين تناسوا واسقطوا من حسابهم العامل الدينى فى قضية فلسطين ، وأنها القضية الوحيدة التى قامت فى العالم منذ ثلاثين قرنا وما زالت تقوم على اسس دينية روحية وقد أوضح المؤلف بالحجة الدامغة انه ان صحت معالجة أية مشكلة على أسس مادية ، فان قضية فلسطين لا تعالج الا على اسس دينية بالدرجة الاولى ، واسس مادية بالدرجة الثانية ، كما وجه اللوم الشديد الى قادة الاحزاب والحركات العربية العلمانية التى تناست أن جميع المعارك الحاسمة فى تاريخ العروبة والاسلام من القادسية واليرموك وحطين وعين جالوت الى بور سعيد والجزائر ، كانت صيحة الحرب فيها دينية مقدسة . . الله أكبر . .

ويختم المؤلف ذلك بقوله : ان الامة العربية تمر اليوم بمرحلة تنوير واعداد وتخطيط لمعركتها الكبرى من أجل استرداد فلسطين ، وواجب كل فرد أن يسهم بجهده فى هذا المجال ، وهو يرجو أن يكون بهذه الدراسة — الموفقة — التى قدمها فى هذا الكتاب قد أسهم ولو بجهد المقل فى هذه المرحلة التاريخية الحاسمة لما فيه خير أمته ووطنه .

ونحن نشهد بأن السيد عبد الله التل القائد المؤمن ومؤلف هذا الكتاب قد أسهم فعلا بجهد طيب مبارك جزاه الله عنه كل خير آملين أن يفتح كتابه هذا بصائر قادة العرب وحكامهم وشعوبهم على الحقيقة ويغريهم بكلمة الحق التى صدع بها هذا القائد المؤلف المؤمن لكى يتمكنوا من التغلب على ضعفهم وأهوائهم وانحراف بعضهم عن جادة الحق متناسين جانب الله تعالى ، وأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وما النصر الا من عند الله القوى العزيز .



أخي المسلم أختي المسلمة ..

نحن على موعد معك لنتلاقى هنا .. فهذا الباب الجديد لك .. لمشاكلك . نتلاقى فيه معك على طريق الله الذى تحبه ونحبه ، ونحن ــ أنا وأنت ــ لا نحب أبداً أن نتخلص من مشكلة تجابهنا في حياتنا على حساب ديننا ومستقبلنا عند الله . فاننا قوم يستقر في أعماقنا مراقبة الله ، والحرص على رضاه ويشرح صدورنا دائما أن نكون في ظل من رعايته ، ولو تحملنا فى ذلك الصعاب . فراحة الضمير هي الراحة الحقيقية .. وشعور الانسان بانه مع الله يسبغ عليه دائما الرضا والاطمئنان حتى فى أحلك الساعات وأشدها قسوة .

وهؤلاء الذين يحاولون الهرب من مشكلاتهم وحلها على حساب دينهم طمعا في الراحة انما يزيدونها تعقيدا ، لأنهم يؤثرون الراحة الظاهرة ، والعلاج المسكن المؤقت الذى يتيح للمرض أن يستفحل ، وللعذاب أن يزداد .. فكن مع الله دائما .. وتعرف اليه في الرخاء يعرفك في الشدة . واكتب لنا بمشكلتك نتعاون معك على حلها فى هدى من نور الله ..

ولقد كنت أريد من مدة أن أقدم لك هذا الباب ، ولكن زحمة العمل والمواد كانت تؤجله من عدد الى عدد ، حتى جاءتنى رسالة من أخ فى العراق أزعجه ما كان يزعجني دائما من جرأة بعض المجلات غير المتخصصة على الافتاء فى أمر الدين بدون علم .. فلم أجد بدا من التعجيل والتنفيذ .

التلقيح الصناعى :

يقول السيد / صبحي الراوى من بغداد فى رسالته هذه :

« لقد قرأت فى مجلة (طبيبك) الدمشقية فى العدد ١٢٧ السنة الحادية عشرة آذار (مارس) ١٩٦٧ فى الصفحة (١١٥) فى أسفل الصفحة السؤال الموجه الى المجلة المذكورة وكان السؤال هو من (س + ق) من دير الزور ، يسأل هل يعتبر الالقاح الصناعي زنا ؟

أما جواب المجلة المذكورة فكان هو :

كلا ! طالما هو جار بعلم الزوج والزوجة وبدون شهوة ... الخ »

الى هذا الحد من الاستهتار وعدم المبالاة يقذف الدكتور برأيه دون احتياط ، كأنه ليس مهما عنده الا أن تحمل المرأة وتنجب ، أما من اين حملت ؟ ولمن ينسب الولد الذى جاء عن طريق هذا التلقيح ؟ .. فهذا أمر لا يهمه .. لأنه لا يهمه ــ كما قلنا ــ الا أن تحمل الزوجة وتجىء بولد !!

ولو أن الدكتور الذى أجاب عن السؤال كان يهمه التحوط لأمر دينه ،

وللأنساب التى يحرص الاسلام على الحفاظ عليها وعدم اختلاطها ، لكان له جواب غير هذا الجواب ..

انني أعرف أن بعض البيوت تعيش فى سعادة ، ولا ينقصها لكى تكمل سعادتها الا أن يدرج فيها وليد وقد يكون السبب من الزوج ومع ذلك تظل الزوجة وفية له ، محافظة على عشرته ، وهنا تظهر المشكلة ، وتشرئب النفوس الى طريقة لملاجها ..

هناك زوجات يتحايلن ويظهرن أنهن حوامل ثم تعمل بحيلها للحصول على طفل وليد تدعى انه وليدها ، وتدخل الحيلة على الزوج .

وهناك من قد تدفعها الرغبة فى الولد الى سلوك الطريق الشائن وترتكب الوزر وتأتى بولد قد تخدع الزوج بأنه ابنه .

ولا شك أن كلا الطريقين جرم تبوء به المرأة أمام الله وعليها وزره وهناك من تتعفف عن هذا وذاك وتلجأ الى التلقيح الصناعى .. وهى الطريقة التى كانت موضع السؤال والجواب فى المجلة الطبية !!

وجواب الدكتور فى المجلة يشبه تماما ما جاء فى بعض القوانين الخاصة بارتكاب الزنا أو جاء متمشيا معها حيث أن هذه القوانين لا تعاقب الطرفين ما دام الامر قد تم برضاهما فى بعض الحالات !!

فسيادته قد أفتى فتوى فرنسية لا فتوى اسلامية !!

والا لو فكر قليلا وتروى لأمكنه أن يصل بطريق عقله الى ان التلقيح الصناعى له حالتان :

الحالة الاولى : أن يتم بمادة ليست مأخوذة من الزوج بل من رجل آخر لأن مادة الزوج غير صالحة للاخصاب وهذه الحالة لا فرق بينها وبين الاتصال الجنسى المباشر بالرجل الآخر من حيث النتيجة ، فالولد ليس له صلة ما بالزوج . فكيف يمكن عقلا أن ينسب اليه ويكون ابنه ويأخذ حكم الابناء ؟!.. ودعونا من الشهوة فهى شىء وقتى وعارض ، ومن العلم وعدم العلم فهذا لا أثر له فى الموضوع . الامر فى هذا واضح لكل من يحكم عقله . وهو الذى يحكم به الاسلام ويعلن أن هذه الطريق حرام ولا يمكن نسبة الولد الى الزوج .

الحالة الثانية : أن تكون مادة الزوج صالحة للاخصاب ولكنه لأمر ما لم تحمل الزوجة منه مع خلوها من موانع الحمل . ورأى الأطباء المختصون انه قد يتم الحمل بطريق التلقيح الصناعى بواسطة مادة تؤخذ من الزوج نفسه .. وهذه لا مانع من تجربتها فلو نجحت كان الولد شرعيا وابنا حقيقيا للزوج له حكم الابناء الشرعيين ..

هذا هو الحكم الشرعى وهو الذى يهتدى اليه العقلاء بفطرتهم السليمة البعيدة عن المؤثرات الغريبة .. ولا أدرى ماذا يكون موقف (صاحب الفتوى) لو أخذ هو دور (الزوج العاجز) عن الاخصاب . هل كان يقبل أن تحمل زوجته بمادة رجل آخر ويرى أن الولد ولده ؟!!

كنت أود أن تقتصر المجلة الطبية على الفتاوى الطبية ولا تدس أنفها فى غير اختصاصها وتفتى فى الاحكام الشرعية بغير علم فتضل وتضل ..

ماذا يكون موقف المجلة الطبية لو أصدرت أنا فتوى طبية ونشرتها على الناس ؟

أما كانت تنبرى لى وتتهمنى بالدجل وتضليل الناس في الطب وتعريض حياتهم للخطر ؟!

وهذه مشكلة أخرى تحملها الينا رسالة من الاخ ط. ع من العراق وهى فى

الحقيقة ماساة تعيش فيها اسرته بسبب تصرف والده الذى يبلغ من العمر سبعين سنة وتصرفهم معه كذلك . وارجو القارىء أن يعفينا من ذكر التفاصيل اكتفاء بما يفهمه من الجواب .

ونقول للأخ ط. ع. قرأنا رسالتك بامعان وتأثرنا كل التأثر للحالة النفسية التى تعيشون فيها بسبب تصرف الوالد . ومع ذلك فقد كنا نود أن تنظر أنت واخوتك واخواتك ووالدتك لتصرف الوالد على ضوء الظروف التى تلمسونها والتى ذكرتم لنا شيئا منها .. فالوالد ــ كما ذكرتم ــ يبلغ من العمر سبعين سنة ويصاب كل سنة « بحالة مرضية عقلية فى فصل الربيع ولا يشفى منها الا بذهابه للمستشفى » فهو اذن مريض مرضا عقليا وما تتصورونه أنتم أو المستشفى من شفائه التام من هذا المرض أمر مبالغ فيه .. فاذا كانت تذهب عنه بعض الاعراض بعلاجه بالصدمات الكهربائية فى المستشفى فان المرض لا يزال موجودا بصورة أخرى ولذلك يعاوده ويشتد عليه كل ربيع كما تقول .. وتصرفاته هذه التى ذكرتها هى أكبر دليل على أنه لا يزال مريضا بعقله اذ لا يقبل على مثل هذه التصرفات انسان وهو سليم العقل .

فلماذا تحاسبون الوالد على تصرفاته كما تحاسبون رجلا عاقلا ؟.. وترتبون على هذه التصرفات ما ترتبون مما ينغص عليكم حياتكم .. ويقضى على الاسرة ويشتت شملها ويسىء اليها والى سمعتها ؟ ثم تستثيرك هذه التصرفات الى حد انك تفكر فى الاقدام على جريمة القتل .. **وقتل من ؟! قتل الوالد .. لا لشىء الا لأنه مجنون سلبه الله نعمة العقل .**

واذا كان قد حرم نعمة العقل فتصرف هذه التصرفات الشاذة فلماذا لا تتصرفون أنتم تصرف العقلاء فبدلا من أن تحملوا تصرفاته محمل الجد كنتم ترونها عارضا من عوارض الجنون فترثون لحاله ، وتسرعون لعلاجه .. وكان على أختك الكبيرة أن تسارع فتخبر والدتها بهذا العارض وتتدبروا جميعا أمركم وتسارعوا لعلاجه بدلا من أن تسكت وتخفى الأمر عنكم ويتكرر منه هذا التصرف الشاذ وتصدم هذه الاخت وتصاب هى الاخرى بحالة نفسية ..

ان الخطأ خطؤكم .. خطؤكم فى اهمال علاج الوالد ثم محاسبته على تصرفاته حساب العقلاء . والوالد .. والد .. أحاطه الله بعنايته وأمر ببره وتكريمه والعناية به ولا سيما اذا كبر واحتاج الى عناية أبنائه الذين رباهم « اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » .. وتعبير القرآن بقوله (عندك) له مغزاه اذ يدل على أنك أصبحت ترعاه وهو عندك وفى رعايتك فلا بد أن تحوطه بعنايتك كما كان يحوطك وأنت عنده صغير وتحت رعايته ..

فقبل أن تلوموا الوالد المريض الذى بلغ من العمر سبعين سنة . وتحاسبوه ، عليكم أن تحاسبوا أنفسكم وتلوموها على تقصيركم ، وعلى تفكيركم ومحاسبتكم الوالد على أنه فى كامل قواه العقلية ..

وقد عرضنا مشكلتك هذه على الدكتور محمد طلعت مدير مستشفى الامراض العصبية بالكويت فقرر أن ما صدر عن الوالد دليل على أنه فاقد لقواه العقلية وأن مرضه العقلى الذى يزوره كل ربيع مستمر معه ولكن على صورة أخرى وأنه يحتاج الى علاج مستمر مع اشعاره بالعطف عليه والعناية به .

يا أخ ط. ع. ابحثوا عن الوالد ، وادخلوه المستشفى وحوطوه برعايتكم فهو فى آخر أيامه . وفى أشد الحاجة للعناية والرعاية . وأنت رجل متدين تخشى الله . والله معكم ..

حول مقال

حصار المسلمين في شِعب أبي طالب

سبق أن نشرنا في العدد السابع والعشرين من المجلة مقالا للشيخ عبد الرحمن الصوالحي تحت عنوان « حصار المسلمين في شعب أبي طالب » ، وقد أرسل الينا الاستاذ محمد المجذوب ملاحظات على هذا الموضوع ، بعثنا بها الى السيد كاتب المقال الذي قام بالرد على هذه الملاحظات ، وننشر فيما يلي الملاحظات والرد عليها .

الملاحظـــات

****

قال الأستاذ محمد المجذوب :

قرأت مقالة الشيخ عبد الرحمن الصوالحي في عدد ربيع الأول ١٣٨٧ من الوعي ، وهي التي جعلتم عنوانها (حصار المسلمين في شعب أبي طالب) فوقفت فيها على بعض الهفوات لعلها فاتت قلم الكاتب دون انتباه ، فرأيت أن أتداركها بهذه الأسطر التي أرجو نشرها خدمة للتاريخ الاسلامي .

١ ـ ذكر الكاتب في فقرة (امداد المسلمين سرا) اسم حكيم بن عدي ابن أخي خديجة .. والصحيح انه حكيم بن حزام ويكنى أبا خالد القرشي الأسدي وهو ابن أخي خديجة أم المؤمنين ، كما حققه صاحب المشكاة .

٢ ـ وقال الكاتب في الفقرة (الأرضة تأكل الحلف) « توصل أحد أصدقاء الرسول الى الكشف عن وثيقة حلف المقاطعة فوجد الأرضة قد أكلت كلماتها » .. « وهي رواية غريبة لا تعرف عن أي من كتاب السيرة ومؤرخيها .. ولعلها وثبت الى قلمه عن طريق أحد المستشرقين دون انتباه ، اذ المعروف بما يشبه الاجماع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم ذلك عن طريق الوحي ، فاخبر به عمه أبا طالب ، فانبأ ابو طالب به قريشا .. ولا يشفع بهذه الهفوة اشارة الكاتب الى رواية ابن هشام هذه ، بدليل ما ينسبه بعد ذلك الى أبي طالب ، اذ يجعله يقول لقريش : (قد وصلني أن وثيقتكم قد أكلتها الحشرات فاكتشفوا عنها ، حتى اذا تحقق قولي كان عليكم أن تكفوا عن مقاطعتكم ، وان لم يتحقق فاني أعدكم بتسليم ابن أخي اليكم تفعلون به ما تريدون) .

وها هنا أمران « أولا أن أبا طالب لم يقل هذا الكلام قط ، بل أن الروايات متضافرة على أنه قال : ـ كما في طبقات ابن سعد ـ (ان ابن أخي قد أخبرني ولم يكذبني قط ان الله قد سلط على صحيفتكم الأرضة فلحست كل ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم ، وبقي منها كل ما ذكر به الله ، فان كان ابن أخي صادقا نزعتم عن سوء رأيكم ، وان كان كاذبا دفعته اليكم ..) وقد تختلف بعض الكلمات

بين رواية واخرى ولكنها لا تخرج عن هذا المعنى أبدا .

ثانيا « ان مجرد وصول خبر عن أي طريق غير الوحي لا يمكن أن يدفع أبا طالب الى المغامرة بمصير محمد صلى الله عليه وسلم وهو أحب اليه من نفسه » بل المعقول فقط أن يفعل ذلك اذا اعتمد على خبر المعصوم دون غيره لما جربه من صدقه .. وكلا الأمرين كاف للقطع برد ذلك التعليل الشخصي ، وما نسب الى أبى طالب من كلام لا يدخل في عقل أنه قاله . ومع ذلك فسنكون شاكرين للسيد الكاتب اذا سمى لنا المصدر المحترم الذي اخذ عنه كلا الخبرين ، لأن الموضوع من النوع الذي لا يقبل الا معتمدا على السند

٣ — كذلك في عبارة الكاتب ما يقطع بأن الحشرة قد أكلت الصحيفة كلها أو كل كلماتها ، والمعلوم من الروايات المعتبرة أن الذي أكل أو لحس انما هو كلمات الظلم فقط دون اسم الله وهو الظاهر من قول أبي طالب الذي نقلناه آنفا ..

٤ — ويروى الكاتب في فقرة (تشجع الباقون بهذه المعجزة) ان أبا لهب هو الذي رد على زهير بن أمية دعوته الى نقض الصحيفة .. وكرر ذلك في الفقرة التالية أيضا اذ قال « فطأطأ أبو لهب رأسه .. » والقارىء الذي يتتبع الموضوع في مظانه التاريخية لا يجد ذكرا لأبى لهب في هذا الموقف وانما كان صاحب الرد هو أبا جهل كما أشار الى ذلك ابن هشام وغيره .

وهذا هو رد الشيخ الصوالحي

ننشره كما هو : —

اطلعت على ملاحظات الأستاذ محمد المجذوب بخصوص مقالي المنشور في المجلة تحت عنوان (حصار المسلمين في شعب ابي طالب) في عدد ربيع الأول سنة ١٣٨٧ والمحول الى بخطاب من ادارة المجلة الغراء .

واليكم الرد على هذه الملاحظات .

حصر الأستاذ المجذوب ملاحظاته على المقال المذكور في ثلاثة أمور :

فيما ذكر عن اسم حكيم ابن أخت خديجة بنت خويلد زوج الرسول عليه السلام .

ثانيا - في حقيقة العبارات والجمل التي جاءت في كتب السيرة عن واقعة اكل الأرضة لكل ما في الصحيفة أو بعضها .

ثالثا : عن أن أبا لهب لم يحضر شيئا من تفاصيل هذه الحوادث التي تضمنتها قصة الحصار وما يدور حولها ..

ونرد على ذلك بترتيب ما ذكره الأستاذ المجذوب فنقول :

أولا : عن اسم حكيم بن حزام أن اسمه ذكر خطأ على أنه حكيم بن عدى مع شكرنا للأستاذ المجذوب الذي نبهنا الى ذلك . وقد كان هذا الخطأ سبق قلم أو اشتباه نسب بين حكيم ابن حزام — ومطعم بن عدى الذي كان حاضرا تفاصيل واقعة الحصار .

ثانيا : عن حقيقة الجمل والعبارات التي رويت بها قصة الحصار بتفاصيلها ،

١ — فكلنا نعلم أن كتب السيرة المعتمد عليها في تفاصيل هذه الوقائع كلها معتمدة على الروايات الكثيرة المختلفة » ولا ضير في ذلك ينقص من قيمتها ، لأن هذه الروايات مع اختلافها معتمدة في كتب الأحاديث الصحيحة ، بل ان الأستاذ المجذوب يسلم بذلك في ملاحظاته .

حول مقال حصار المسلمين

****
****
****

على أن ذلك لا يعفينا ويبرىء ساحتنا اذا لم نذكر المصدر الذي نقلنا عنه ، وهذا المصدر هو كتاب الدكتور محمد مصطفى زيادة أستاذ التاريخ الاسلامي بجامعة فؤاد (جامعة القاهرة حاليا) طبع دار الطباعة الحديثة سنة ١٣٥٣ هـ ـ سنة ١٩٣٤ م .

حيث ذكر الدكتور زيادة ما قلناه بالنص في كتابه ص ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ وهو ما يطالب به الأستاذ المجذوب لبراءة ذمتنا .

وكان علينا كناقلين لرواية تاريخية أن نلتزم بالنقل عن دكتور وأستاذ في التاريخ الاسلامي عملا بالأمانة العلمية . فضلا عن أن الدكتور زيادة اشار في ص ٥٩ من مذكراته ، ص ٦٣ بعد انتهاء قوله في الكلام عن موضوع الحصار ، أشار الى الكتب والمصادر التي نقل عنها بحثه حيث ذكر في ص ٥٩ من كتابه الى أن مرجعه في ذلك هو سيرة ابن هشام ص ٢٨٩ والواقدي من غير أن يدون رقم الصفحة عن الواقدي . كما أشار الى مصادر بحثه في ص ٦٣ الى ابن سعد ص ٢٤١ ـ والطبرى جزء أول ص ١١٧٠ وابن هشام ٢٣٣ .

٢ ـ أما استبعاد تسليم أبى طالب لابن اخيه عليه السلام اعتمادا على رواية شخص ـ استبعاد ذلك عقلا مردود ومع ذلك فقد ذكرنا عن رواية ابن هشام أن ذلك كان وحيا للنبى من أن الأرضة أكلت الصحيفة .

٣ ـ كما أن أبا طالب لم يكن مسلما يؤمن بالوحي حتى يكون لهذا الخبر قيمته عنده اذا نسب للوحي .

٤ ـ ما ذكره الأستاذ المجذوب من ان كلام النبي مصدق عنده لا دخل له في عدم تسليم ابن أخيه ، وانما الذي له دخل هو محبته لابن أخيه وعصبيته له ، وهو ما دعاه لحمايته طول عمره .

٥ ـ على أن العبرة بالنتيجة وهو عدم تسليم ابن أخيه لأن تسليمه معلق على أن الأرضة لم تاكل الصحيفة أو لم تاكل بعضها على اختلاف في الروايات . وما دام أبو طالب قد تاكد من ان الأرضة أكلت ما في الصحيفة فتسليم النبي لن يتم . واذا فلا داعي للافتراض والتخمين في انه كيف يسلم ابن خيه بناء على رواية شخص لا سند لها من وحي أو من قول الرسول عليه السلام . (!!)

ثالثا : بقي أن أبا لهب حضر هذه الوقائع في قصة الحصار أم لا .

ونحن نجزم بأن أبا لهب حضر وقائع هذه القصة وننفي غيابه بدليل ما يأتي .

١ ـ ما ذكره الدكتور زيادة في كتابه نقلا عن كتب السيرة .

٢ ـ غير معقول أن يتخلف أبو لهب عن مجرى الأمور في موضوع يتصل بمصير الاسلام والشرك ، ومصير المسلمين والمشركين ، وكان معروفا بشدة عدائه للاسلام والمسلمين .

٣ ـ نغلب الظن أن الأستاذ المجذوب اشتبه عليه تخلف أبى لهب دون بني هاشم جميعا في مشاركتهم في حصارهم في الشعب اشتبه عليه ذلك ، فنسب الى أبي لهب انه تخلف أيضا عن حضور حوادث فك الحصار رغم ما ذكرته كتب السيرة عن حضوره .

الفتاوى

التعصيب

السؤال :

لماذا لا يعصب ابن الاخ اخته فى الميراث ـ ولماذا لا يحجبها ؟

زكى محمد

بصرة ـ سوق الدجاج

الاجابة :

التعصيب النسبى ثلاثة اقسام :

الاول : العصبة بالنفس : والعاصب بنفسه هو كل قريب للمتوفى من الذكور لا تدخل فى نسبته اليه انثى .

الثانى : العصبة بالغير : وهى كل انثى صاحبة فرض احتاجت فى عصوبتها الى الغير وشاركت ذلك الغير فى تلك العصوبة وهن أربعة : البنت وبنت الابن والاخت الشقيقة والاخت لأب . وذلك كالبنت مع الابن ، وبنت الابن مع ابن الابن والاخ الشقيق مع اخته الشقيقة والاخ لأب مع اخته لأب .

الثالث : العصبة مع الغير : وهى كل انثى صاحبة فرض احتاجت فى عصوبتها الى الغير ولم يشاركها ذلك الغير فى العصوبة . وهما اثنان فقط : الاخت الشقيقة والاخت لأب كالبنت أو بنت الابن مع الاخت ، فان البنت تاخذ فرضها والاخت تاخذ ما بقى من اصحاب الفروض بالتعصيب .

ويظهر مما تقدم ان التعصيب بالغير انما يتحقق لانثى صاحبة فرض بعاصب نسبى ، فاذا لم تكن صاحبة فرض لا تعصب بمن فى درجتها وقوتها من العصبة النسبية . ولهذا لا تعصب بنت الاخ بابن الاخ لانها ليست صاحبة فرض بل هى من ذوى الارحام . وأيضا لا يحجبها لانها فى درجته وهى غير وارثة متى وجد صاحب فرض أو عاصب .

ولذلك نجيب :

بأن ابن الاخ لا يعصب اخته لكونها ليست صاحبة فرض مطلقا . ولا يحجبها لانها غير وارثة متى وجد صاحب فرض أو عاصب .

في الرضاع

السؤال :

تزوجت من امرأة كان أبوها قد رضع من والدتى ، وقالت والدتى أن عدد الرضعات مرتان أو ثلاث مرات .

فما حكم الشريعة ؟

مصباح عبد العزيز عبد القادر

الاجابة :

بما أن والد زوجتك لم يرضع من والدتك سوى ثلاث رضعات . والذى عليه الفتوى أن الرضاع

المحرم هو خمس رضعات متفرقات مشبعات على ما ذهب اليه الامام الشافعي .
فاننا نجيبك :
بأن الرضاع المذكور لا يوجب الحرمة شرعا عليك ولا يجب التفريق بينك وبين زوجتك .

في الميراث

السؤال :
اولا : مات شخص عن :
ابن وزوجة وأخت شقيقة وأخ لأب .
ثانيا : ثم ماتت الاخت الشقيقة عن :
أخ لأب وابن أخ شقيق .
فما نصيب كل وارث ؟

سالم المريمي
شركة الشريمان ــ الكويت

الاجابة :

أولا : بوفاة المتوفى الاول عن ابنه وزوجته واخته الشقيقة واخيه لابيه يكون توزيع تركته على الوجه التالى :

للزوجة الثمن فرضا والباقي للابن تعصيبا ولا شيء للاخت الشقيقة والاخ لاب .

ثانيا : بوفاة الثانية الاخت الشقيقة عن :

اخ لأب ، وابن أخ شقيق ، تكون تركتها جميعها لأخيها لابيها ولا شيء لابن الاخ الشقيق ، لأن الاخ اقرب درجة من ابن الاخ .

في الوصية

السؤال :

أوصى ا. م. ر. اخاه ر. م. ر. على ثلث ماله من جميع مخلفاته لصرفه في وجوه الخيرات والمبرات وعمل الاحسان ، وفي كل عمل خير يعود نفعه على الموصى بعد موته ــ وقد توفى الموصى .

وقد صرف الوصي بعض الثلث على اعمال الخير وشئون بعض الاقرباء المستحقين من العائلة ــ وفي ــ خلال الفترة الماضية واجه ضغطا من الورثة برغبتهم في توزيع الثلث وهو يود القيام بتوزيع القسم الاكبر من الثلث على جميع الورثة كل بنسبة حصته مع ابقاء قسم صغير للصرف منه على أعمال الخير .

فهل يجوز ذلك شرعا ؟

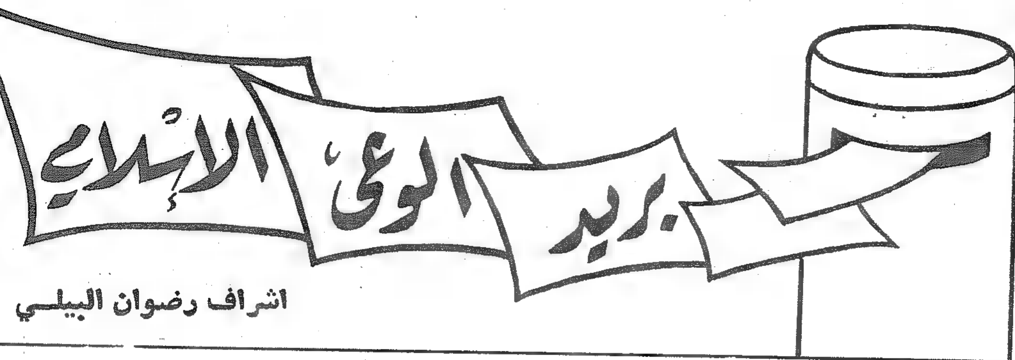
م. ع ــ الكويت

الاجابة :

الوصية شرعا تمليك مضاف الى ما بعد الموت ــ وهي من الاحكام الشرعية التي ورد بهـا القرآن الكريم قال تعالى (كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت أن ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه) .

وبما أن الوصية تمليك مضاف الى ما بعد الموت فتكون لازمة وتامة بموت الموصي ومن ثم تنتقل ملكية الثلث الموصى به الى الموصى لهم واختيار وصي من الموصي للقيام على تنفيذ وصيته بعد موته لا يجعل له حقا في تغيير مصرفها ، لأن الموصي نفسه حدد المصرف وأصبح القدر الموصى به ملـكا للجهات الموصى اليها ، فهو ليس الا منفذا لشرط الموصي ويلزمه أن يكون أمينا في ذلك .

ولا مانع شرعا أن يعطى الفقراء المحتاجين من الورثة حسب حاجتهم الضرورية ويفضلون على غيرهم من الفقراء ولو يستغرق ذلك الثلث ، أما اذا كانوا غير محتاجين فلا يصح اعطاؤهم شيئا من الثلث والله اعلم .



اول جمعة في الاسلام

بعث الاخ مسلم الرشيد من العراق رسالة يســـأل فيها عن أول جمعة اقيمت فى الاسلام وأين أقيمت ، ومتى ، ومن خطيب القوم وامامهم فيها ؟

واول جمعة اقيمت فى الاسلام لم تقم بالمسـجد الحرام بمكة ، ولا فى المسجد النبوى بالمدينة المنورة . ولم يكن خطيب المسلمين وامامهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن اقامتها بعد فرضـــها مباشرة ، بل لبث المسلمون فترة طويلة لا يقيمون صلاة الجمعة مع أنها كانت مفروضة عليهم ، وذلك لعدم تمكنهم من ادائها . فقد كان فرض صلاة الجمعة مع فرض الصلوات ليلة الاسراء والمعراج . وذلك قبل الهجرة بسنة واحدة ، ولـــكن رسول الله ومعه المسلمون لم يستطيعوا أن يقيموا هذه الشعيرة الجامعة بمكة لانها تعتمد على اجتماع المسلمين ، وتذكيرهم بالله بالقاء خطبتين قبل الصلاة ، وهذا أمر يحتاج الى العلانية ، ولم تكن ميســـورة ولا مأمونة فى هـــذا الوقت ، لأن المسلمين كانوا يواجهون فى هذه الفترة من ظروف الاضـــطهاد والارهاب ما يحول بينهم وبين اقامة هذه الفريضة .

وحدث بعد بيعة العقبة الثانية أن أرسل رسول الله قبل هجرته اسعد بن زرارة الى المدينة مع المبايعين من أهلها ، وعقد له لواء الإمامة فيها ، فجمعهم اسعد ، وصلى بهم الجمعة بعد أن خطبهم وذكرهم بالله ، ثم ذبح لهم شـــاة للغداء ، وأخرى للعشاء وكانوا أربعين رجلا . وهـــذه اول جمعة تقام فى الاسلام ، وقد أقيمت فى مكان يســـمى هزم النبيت وهو يبعد عن المدينة بنحو ميل .

ولما خرج رسول الله ــ بعد ذلك ــ من مكة مهاجرا ، وصل الى قباء ، ونزل فى بنى عمرو بن عوف ، وأسس مسجدهم الذى يقول الله فيه « لمسجد

اسس على التقوى من اول يوم احق أن تقــــوم فيه » فيه رجال يحبـــون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » ـ وقد اقام فى قبـــاء أيام الاثنين والثـــلاثاء والاربعاء والخميس ، وغادرها يوم الجمعة فادركه وقتها فى وادى ســـــالم بن عوف فصلاها الرســـــول مع أصحابه فى بطن وادى رانوناء بعد أن قام فيهم خطيبا ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

اما بعد : أيها الناس ، فقدموا لانفسكم تعلمن ، والله ليصعقن احدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقــــولن له ربه ليس له ترجمان ، ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولى فبلغك ، وآتيتك مالا ، وافضلت عليه ، فما قدمت لنفسك . فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يتقى بوجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فانها تجزى الحسنة بعشر أمثالها الى ســــــبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فهذه أول جمعة صلاها رسول الله ، وهذه اول خطبة خطبها للصلاة .

لقمان الحكيم

والأخ سعدون الانصارى من الظهران يســـــتفسر عن لقمان الذى سميت السورة باســـــمه فى القرآن الـــكريم : هل هو نبى من الانبياء ، او ولى من الاولياء ؟

ونجيب الأخ سعدون بأن المؤرخين اختلفوا فى شأن لقمان ، فمنهم من قال انه نبى ومنهم من قال انه عبد صالح ، والجمـــــهور على أنه حـــكيم عرف فى الجاهلية قبل أن يعرف فى الاسلام ، وتنسب اليه حكم وأمثال شـــتى ، وفى سورة لقمان ما يشهد له بذلك ، قال سبحانه « ولقد آتينا لقمان الحــــكمة » ووصيته لابنه فى هذه السورة تشهد له بسداد الفكر وصـــواب الرأى ورجحان العقل .

ومما أثر عنه ما رواه ابن جرير قال : كان لقمان عبدا حبشــــــيا نجارا ، فقال له مولاه ، اذبح لنا هذه الشاة ، فذبحها ، فقال له : اخرج أطيب مضغتين فيها ، فاخرج اللسان والقلب ، ثم مكث ما شاء الله ، ثم قال له : اذبح لنا هذه الشاة فذبحها ، فقال له : اخرج أخبث مضغتين فيها ، فأخرجهما .. فسئل عن ذلك ، فقال لقمان : أنه ليس من شىء أطيب منهما اذا طابا ، ولا أخبث منهما اذا خبثا .

علينا رسول الله بحياة ابيك .. فالنبي أرحم الناس بالمسلمين .. وطالما عفا عن كثير .. (يتجهان الى خيمة رسول الله) .

المنظـــر الرابـــع

المنظر السابق .. زيد بن ارقم وهلال بن امية لا يزالان في موضعهما .. ابن ابن ابى واسيد بن حضير يقبلان ناحيتهما .. ويجلسان الى جوارهما ..

زيـــد : ترى ما كان بينكما وبين رسول الله .

ابن ابن ابى : دخلت على النبي ولم يكن معـــه غير صاحبه ابى بكـــر .. وتقدمت من مجلسه .. وفى عيني دموع لم أستطع ان احبسها .. وقلت فى كلمات صادق .. وايمان عميق يا رسول الله .. انه بلغنى انك تريد قتل أبى فيما بلغك عنه .. فان كنت فاعلا .. فمرنى به .. فأنا أحمل اليك راسه .. فوالله لقد علمت الخزرج .. ما كان بها من رجل ابر بوالده منى .. وانى لأخشى ان تأمر به غيرى فيقتله .. فلا تدعنى نفسى انظر الى قاتل أبى .. يمشى في النـــاس فأقتله .. فأقتل رجلا مؤمنا بكافر .. فادخل النار ..

اسيد : لم أتمالك نفسى عندما سمعت هذا الحديث الا ان اتجه الى رسول الله وصاحبه الصديق ورحت أشهد أمامهما بهذا الموقف الذى يقفـــه ابن هـــذا المنافق .. لقد اضطربت في قلبه عوامل البر بأبيه وصدق ايمانه .. والنخـــوة العربية والحرص على سكينة المسلمين .. حتى لا تتواتر الثارات بينهم .. انه لا يطالب الا بقتل أبيه.. لأنه يؤمن ان النبى عندما يأمر بالقتل انما يصدع لأمر ربه.. كل ما يريده ان يحمل هو راس أبيه الى النبى حتى ..

ابن ابن ابى : (مكملا الحديث) لا يدفعنى حبى لأبى والبر به الى قتل من قتله .. فأكون بذلك قد قتلت مؤمنا بكافر .. عندئذ سيكون مصيرى نار جهنم ..

زيـــد : يا لروعة ايمانك .. وصدق اسلامك .. انك والله لتضرب الأمثال للمسلمين أن ايمانك بالله أقوى من برك لأبيك .. وأعظم من حبك له ..

ابن ابن ابى : (في تواضع) لم أفعل غير ما يفعله أى انسان يحب اللـــــه ورسوله .. وقست عليه الظروف .. فوضعته في موقف كله صراع بين الحـــق والباطل .. وبين الايمان وعاطفة البر بالأب .. والحرص على وأد الفتنة بـــين المسلمين قبل مولدها .. وقد هدانى الله للتمسك بالايمان .. وكـــان جـــزاؤه كبـــيرا ..

زيـــد : (مرددا في لهفة) جزاؤه كبيرا .. ترى ماذا كان ؟

ابن ابن ابى : ما أن انتهيت من حديثي لرسول الله حتى أطرق براسه قليلا .. ثم التفت الى وعلى فمه ابتسامة مشرقة وقال « انا لا نقتله » .. لم أصـــدق أذناى .. فعاودت السؤال كثيرا .. أحقا لن تقتل ابي يا رسول الله .. أحقا لن تقتل ابى يا رسول الله ..

زيـــد : ما كان جوابه ؟

ابن ابن ابى : (ربت بيده الشريفة على كتفى وقال) انا لن نقتله .. بـــل نترفق به .. ونحسن صحبته ما بقى معنا ..

« ستار ختـــام »

قالت صحف العالم

الدين

نشرت مجلة الشباب البيروتية مقالا تحت هذا العنوان نقتطف منه ما يأتى :

لقد كان لنا مع عدونا جولات ثلاث ، تعلمنا خلالها ان عدونا لدود ، وانه يصدر فى اعتدائه علينا وتصديه لنا عن « عقيدة » ملأت نفسه وملكت عليه جوارحه ، بغض النظر عن صلاح هذه العقيدة أو فسادها . وقد أفلحت الصهيونية العالمية فى حمل يهود العالم على ان يضعوا تحت تصرفها كل ما يملكون فى سبيل أن تقيم لهم « دولة » على أرض الميعاد التى تمتد من النيل الى الفرات ، وأن تعيد بناء هيكل سليمان على انقاض المسجد الاقصى .

المحارب اليهودى يقاتل اذن فى سبيل عقيدة ، يهاجر من أجلها من اطراف الدنيا لينتصر بها او يموت ، وهذا النوع من المحاربين لا يستطيع الصمود له الا جنود عقيدة ، لا يحاربون لنصرة جارة صديقة ، أو ازالة قاعدة للامبريالية العالمية .. وما الى ذلك ، وانما يحاربون للدفاع عن مقدسات تنتهك حرماتها ، وعن حق شعب مؤمن تربطهم به وشيجة العقيدة فى أن يعيش على أرضه عزيزا كريما .. وهنا ، اذا ما قضى الجندى فى المعركة فانما يقضى شهيدا ينتظره مقام الشهداء ، ولن يعرف الخذلان الى نفسه سبيلا .

يجب مراجعة الحساب

ومن مقال تحت هذا العنوان كتبت مجلة « السياسة » الكويتية تقول :

قد يقول قائل متسائلا : ما الفائدة من سرد الاخطاء الماضية ؟ عفا الله عما مضى ! والجواب ان هذا صحيح ، لكن اذا كان الله عفى عما مضى ، فانه لا يعفو عما سيأتى . واذن يجب مراجعة الحساب ، والاخطاء ليست حوادث مضت وانتهت . الاخطاء هى أعمال وأفعال تحمل هويتنا وطابعنا ، وانها تشكل تاريخنا الذى ننطلق منه الى مستقبلنا .

الاخطاء عثرات وحفر ، واذا كنا لا نرى الحفر جيدا فاننا لا نقدر أن نتجنبها أبدا ..

واذن لنفتح أعيننا وقلوبنا جيدا على هذه الاخطاء ، لا لتتسلط علينا عقدة الذنب والاثم ، بل لتأخذنا صحوة العظة والعبرة ، ولا لنتهم أو ندين بعضنا بعضا ، بل لنعقد مصالحة عامة شاملة تضعنا فى البداية الصحيحة للطريق الصحيح ، نتصالح مع أنفسنا مع بعضنا ومع العالم .

يجب دائما ان نذكر هذه الاخطاء ، ويجب أن نذكرها بالخير مع الاسى ، بل يجب أن نتعاطف مع هذه الاخطاء .

قلت سابقا ان الاخطاء اعمال وافعال تحمل هوية اصحابها .

اذن الاخطاء كائنات حية ، بل انها كائنات مريضة معتلة . وازالة المرض تكون بالعناية والدراية والحكمة .
اخطاؤنا هى اعمالنا التى فرطنا فيها ، ولم ناخذ بالنا منها .

كمثل الأم التى تهمل احد ابنـــائها فيمرض ، ويعتل ويحتـــاج الامر الى الطبيب . ويحتاج الى سهر الام . فتتالم وتحزن وتذرف الدمع السخين .

لقد أصبنا فى الآونة الاخيرة بنكسة مصـــيرية وجودية لأن اخطاءنا هى اخطاء مصيرية وجودية .

هذه الاخطاء كان من اسبابها الاولى نقص فى العلم او انحراف فى العلم عن اهدافه ،وكان من اسبابها نقص في [illegible] اوفساد الثقة . ولو اردنا ان نعدد الاسباب لبلغت بنا القائمة امتارا ، انما يمكن ان نلخص هذه الاسباب ونضع لها عنوانا موحدا ، هو المعرفة والحرية .

الفدائيون

وتتحدث صحيفة الاخبار القاهرية عن اعمال الفدائيين فتقول :

قبل ٥ يونيو كانت اسرائيل تشكو من اعمال الفدائيين ، وكانت تزعم انهم يتسللون اليها من سوريا ، وطالما وجه زعماؤها وســـــاستها التهديدات الى سوريا . ثم بلغت هذه التهديدات قمتها بقولهم انهم سيهاجمونها . وكان ظنهم ان مهاجمة سوريا ستريحهم من اعمال الفدائيين ، وســـتكفل لهم الامن داخل اسرائيل . وها هم قد هاجموا لا ســـوريا وحدها ولكنهم هاجموا معها الاردن والجمهورية العربية المتحـــــدة ، واحتلت قواتهم اراضى جديدة من الاراضى العربية . فهل كف الفدائيون عن العمل ، وهل أمنت اسرائيل ؟

الجواب نعرفه مما تذيعه وكالات الانبـــاء ومما يذيعه المســـئولون الاسرائيليون انفسهم .. لقد امتدت أعمال الفدائيين حتى بلغت قلب اسرائيل ، واشتدت حتى أصبحت أشبه بالمعارك الحربية بينهم وبين القوات الاسرائيلية ، وما من مكان سواء فى اسرائيل او فى الارض العربية التى احتلتها بعد يوم ٥ يونيو يمكن أن يعد آمنا ، ويستطيع الاسرائيليون أن يسيروا فيه او يعملوا من غير حراسة ومن غير حذر شديد .
الحرب اذن ليست ســـبيل الامن لاسرائيل ، واحتلال الارض ليس هو سبيلا للامن . واذا ارادت اسرائيل أن تلتمس السبيل الصحيح للامن فعليها أن تسأل نفسها أولا ، لماذا يرفض العرب وجودها ؟ فاذا استطاعت أن تجيب على هذا السؤال اجابة صادقة تتفق مع الواقع ، فستعرف ان لا ســـبيل لها كى تشعر بالامن ابدا ، لانها جسم غريب أقحم على كيان لم يســـتطع هضمه ولا امتصاصه طوال عشرين سنة ماضية ، ولا يمكن هضمه ولا امتصـــاصه مهما يطل الامد ، لأن الجسم الغريب بطبيعته مرفوض .
هذه حقيقة يحسن أن تعرفها اسرائيل ، فلا تذهب فى خيـــال بعيد عن الواقع ، ان الحرب لا تحل المشكلات ، والعدوان ليس ســـبيلا للســـــلام ، واغتصاب أرض الآخرين وحقوقهم وديارهم جرح لن يندمل ابدا .

بأقلام القراء

يعبرون فيه عن افكارهم دون أن تلتزم المجلة بآرائهم ..

التراث الحافل

ويتحدث الاستاذ زيد بن فياض مدير عام المكتبات بالسعودية تحت هذا العنوان فيقول :

التراث الحافل

في المؤلفات التى خلفها الاقدمون ثروة هائلة ، وكنوز ثمينة ، وثقافة رصينة ، وفيها من العلوم والآداب والثقافات المتنوعة ما لا يمكن حصره ، ولا يطاق استيعابه . وما على المرء الا أن يستفيد من وقته فى مطالعة [illegible] الكتب ، والاستزادة من مناهلها الثرة ليكون لديه حصيلة طيبة من العلم والمعرفة.

وقد توفرت الوسائل الكثيرة فى العصر الحديث وسهل اقتناء الكتب والبحث والمراجعة وتنمية [illegible] . فآلات الطباعة ، وجودة الورق ، وتزيين الكتب بالترقيم والعلامات والفواصل . والتانق فى الغلاف والكتابة وسائل جذابة لتشويق القارىء وحثه على الاستزادة من المعرفة .

هذا بالاضافة الى ما وفرته الدول من مدارس ومكتبات ، وما بذلته فى سبيل اعداد التلاميذ وحشد المدرسين وتهيئة الاجواء المريحة . والتسهيلات الكثيرة للوصول الى العلم من أقرب طريق ، وأحسن سبيل .

كل ذلك ينبغى ان يكون حافزا للمرء على الجد فى البحث والقراءة بلا كلل ولا ملل . ومما يؤسف له أن بعض الوسائل العصرية قد استغلت استغلالا سيئا . فبعض الكتاب والصحفيين قد انصرفوا الى نواح تشتت الوقت وتبدد الجهد فى غير طائل أو فيما فيه ضرر على عقلية الانسان وعواطفه .

وذلك ككتب الالحاد والمجون والآراء المخربة وكالصحف والمجلات التى يطمع منشئوها فى الرواج واستثارة الغرائز للوصول الى المال عن طريق افساد الشباب وتفكك المجتمع .. وارضاء النزوات الطائشة .

والمطابع التى تشجع هذا اللون وتسهل انتشاره قد أصبحت بلاء على المجتمع وخطرا يهدد كيانه . واذا فان الانتقاء واختيار الجيد أمران لابد منهما لمن يريد أن يتثقف ثقافة رصينة . ويوسع مداركه وينمى معلوماته .. وان فى الكتب القديمة التى يسميها بعض المكابرين أو الاغبياء الكتب الصفراء — من عظيم الثقافة ما لا يجحده الا منكر للحقيقة ومشبع بالهوى .

ومن المحزن صدوف كثير من الشباب عن هذه الكتب ، وركونهم الى مطالعات الصحف ذات اللون التافه والمواضيع السطحية ، والتى تقتل الوقت وتضيع العمر فى غير فائدة ، وهكذا دواليك يذهب كثير من الشباب ضحية أوهام وتشككات ، وضياع بين المذاهب والنحل ، وميل الى الكسل والتبلد ، بعيدين عن الجد والعزيمة ، والبناء القوى المتماسك ..

واذا كان هناك مربون وأساتذة وغيورون ينادون بالاتجاه نحو الثقافة الصحيحة والابتعاد عن الصحف والمجلات والكتب الضارة .. فان أصواتهم غالبا تختنق وسط الضجيج والعجيج من المخدوعين والماكرين ..

ومن لازم المربين ورجال العلم أن يبينوا ما يعنيه التخبط من وبال وخسارة على الامة .. وان يرشدوا الى الكنوز القريبة ، والثقافة الجاهزة فى الكتب التى لا تكلف عناء فى طلبها ، ولكنها تحوى الغذاء الفكرى القويم ، والتى هى امتداد لمجد عظيم يريد المفرضون أن يبعدوا النشء عنه . حتى لا يعرف أين يتجه ، ولا كيف يسير . ومع ما أصاب المجتمعات الاسلامية من اضرار بعد أن ضاقت بها السبل ، فان الامل ما يزال قويا بأن تتضافر الجهود للسير فى الطريق السوى .
فعسى أن تفعل ..

اهلا بمعركة المصير

وتلقينا من الأستاذ احمد محمد عبد الهادى — ج. ع. م — قصيدة تحت هذا العنوان نقتطف منها ما يلي :

الأرض تغلــى كالسعيــر ... والبحـر يغمــره الهـديـر
والجـو تملـؤه النسـور ... والشعب يدفعــه النفيــر

اهــلا بمعركــة المصيــر

اهــلا بمعركــة البقــاء ... ورجــوع ارض الأنبيـاء
وزوال حلــم الأغبيــاء ... وابادة الخصـم الحقيـر

اهــلا بمعركــة المصيــر

اهــلا بمعركــة الخــلاص ... ومجىء ساعـات القصــاص
ضربــا وقــذفـا بالرصــاص ... ونصيرنــا المولــى القديــر

اهــلا بمعركــة المصيــر

اهــلا بمعـركــة الخلــود ... وفنــاء احــلام اليهــود
مــن دنســوا كل الوجــود ... ولقــد دنا وقت المسيـر

أهــلا بمعركــة المصيــر

اهــلا بمعركــة الحيـــاة ... سيخوضهــا جنــد الالــه
ضــد الخفــافيش الشــراه ... والمفسديــن ومــن يغيــر

أهــلا بمعركــة المصيــر

سنخوض معركــة البقــاء ... مهمــا بذلنــا مــن دمــاء
فالعــرب أوفــى الأوفيــاء ... لعهودهم يــوم النفيـر

أهــلا بمعركــة المصيــر



أخبار العالم الإسلامي

اعداد : عبد المعطى بيومى

الكويت

● عاد حضرة صاحب السمو امير البلاد المعظم فى رعاية الله وحفظه الى الوطن بعد أن قضى فترة للراحة والاستجمام فى الخارج .

● وجه سمو الامير المعظم كلمة سامية بمناسبة الاحتفال بالعيد العالمى لمحو الامية جاء فيها : ان مكافحة الامية هى المنطلق الى التربية وهى التى تفتح أبواب العلم للجميع وهى الدليل الهادى من المتاهة والضلال الى النور واكتشاف الذات .

● صرح معالى الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية أن الامم المتحدة ستفقد فعاليتها ما لم تتبن قرارا يدعو اسرائيل الى الانسحاب من الاراضى العربية التى احتلتها بعدوانها الاخير .

● تبرعت الكويت بمبلغ الفى دينار كويتى وكمية من المواد الكيماوية للجمهورية العربية اليمنية لمكافحة الجراد الصحراوى .

● عقد مجلس الامة فى العاشر من أكتوبر ٦٧ جلسة غير عادية فى دور انعقاد غير عادى وافق فيها على الدعم الاقتصادي للدول العربية المتضررة من العدوان الاسرائيلى كما وافق على مد العمل بالاحكام العرفية فى البلاد ثلاثة شهور أخرى . وقد قامت الكويت بتقديم القسط الاول من هذا الدعم .

● بدأت جامعة الكويت عامها الدراسى الثانى يوم ١٤ أكتوبر الماضى بافتتاح كليتين جديدتين هما : كلية الشريعة والقانون وكلية التجارة والاقتصاد فاصبح فيها أربع كليات . والبقية تأتى ان شاء الله .

الجمهورية العربية المتحدة

● تسلمت الحكومة من الكويت والسعودية وليبيا القسط الاول من المبلغ الذى قرره مؤتمر القمة العربى الرابع لمساعدة الدول العربية المتضررة بالعدوان الاسرائيلى .

● استقبل فضيلة شيخ الازهر نائب رئيس المركز الاسلامى فى ولاية كلمنتان بماليزيا الذى سلمه رسالة من رئيس حكومة كلمنتان يطلب فيها دعم المركز الاسلامى حتى تقوم جامعة ماليزيا على نظام جامعة الازهر .

● قرر المجلس الاعلى للفنون والآداب الاحتفال بمرور ١٢٠٠ عاما على وفاة الامامين الجليلين الشافعى وابى حنيفة بالقاء المحاضرات والبرامج فى الاذاعة والتليفزيون ، وسوف تجمع كل المعلومات عن الامامين الكبيرين كل فى كتاب .

● وجه فضيلة شيخ الازهر بيانا الى أبناء مدن قناة السويس قال فيه أن المؤمن كلما قويت عقيدته وعظم ايمانه هانت أمامه الشدائد واستبسل فى سبيل الله وفى سبيل هدفه الاعظم ، وقال فضيلته ان الاسلام يكره الاستسلام ويأباه فاياكم أن تلين لكم قناة .

المملكة العربية السعودية

● وجه جلالة الملك فيصل نداء الى الشعب والوافدين للمملكة يهيب بهم أن يتمسكوا بشعائر الاسلام وتقاليده .

● واصلت لجنة السلام الثلاثية جهودها لحل مشكلة اليمن وقد اجتمع أعضاء اللجنة مع جلالة الملك فيصل كما أجرت عدة اجتماعات مع المسئولين السعوديين واليمنيين الموجودين فى السعودية .

● نقل سمو الامير خالد بن عبد العزيز ولي العهد رسالة من جلالة الملك فيصل الى الرئيس الفرنسى شارل ديجول وقد بحث ولى العهد والرئيس الفرنسى قضية فلسطين .

الاردن

● زار جلالة الملك حسين القاهرة - كما قام جلالته بزيارة الجزائر وذلك ضمن جولة في البلاد الاوربية .

● شكل السيد بهجت التلهونى حكومة جديدة منها ٧ وزراء من الضفة الغربية بينهم الشيخ عبد الحميد السائح الذى أبعدته اسرائيل لتزعمه المقاومة العربية في الضفة الغربية .

العراق

● أصدر الرئيس العراقى عفوا عن الذين اشتركوا فى بعض الاحداث السياسية السابقة . .

● زار العراق الدكتور نور الدين الاتاسى رئيس الدولة فى سوريا وقد جرت مباحثات بين الرئيسين حول الوضع العربي الراهن .

سوريا

● أصبح الانتقال بالبطاقة الشخصية بين العراق وسوريا

● استولت الحكومة على المدارس الخاصة الاجنبية لمعارضتها اشراف الدولة عليها وتدريس المناهج الحكومية فيها . . وبذلك اقامت دليلا جديدا على خطورتها فى البلاد الاسلامية عامة .

السودان

● أعلن وزير الداخلية السودانى ان الوقائع تجمعت لديه على أن القسيس الامريكى مار كرويل يباشر نشاطا عدوانيا ضد السودان وهو فى اثيوبيا !!

لبنان

● توفى الى رحمة الله تعالى فضيلة الشيخ محمد علايا مفتى لبنان السابق بعد عمر طويل قضاه فى خدمة الاسلام والمسلمين . والمجلة تقدم أجمل العزاء لأسرته ، وخلفه ، والأسرة الاسلامية كلها فى لبنان .

● عقد الشيخ عبد الحميد السائح وزير الشئون الدينية والاماكن المقدسة مؤتمرا صحفيا فى بيروت صرح فيه بأن المقاومة العربية فى الضفة الغربية التى تحتلها اسرائيل نابعة من الشعب وليست من الخارج وان الشعب هناك يرفض اقامة حكومة فلسطينية فى الضفة الغربية .

الجزائر

● احتفلت البلاد يوم ٣١ أكتوبر الماضى بالذكرى الثالثة عشرة لاندلاع الثورة الجزائرية .

تونس

● وضع مؤتمر الاعلام العربى خطة اعلامية جديدة للمرحلة الراهنة وقد أوصى بتخصيص مليونى جنيه استرليني لهذه الخطة تدفع منها امارات ودول الخليج مليونا وتدفع الدول العربية الاخرى الباقى .

أخبار متفرقة

● باكستان : قام الرئيس أيوب خان بزيارة فرنسا ورومانيا وتركيا وبحث مع الرئيس ديجول قضية فلسطين وطلب شراء أسلحة فرنسية .

● ماليزيا : احتفلت ماليزيا بعيد استقلالها الوطنى وقد هنأ سمو الامير المعظم الملك ناصر الدين شاه بهذه المناسبة .

● شيكاغو : قتل فى شيكاغو السيد سام حمود صبيح أحد زعماء الجالية الاسلامية هناك قرب مسجد الأمين الذى بناه .

البرازيل : انشأت الجالية الاسلامية مسجدا كبيرا ومدرسة ثانوية واعدادية ونايا رياضيا وفى سبيل انشاء مستشفى وقد قابل وفد منها فضيلة شيخ الازهر اخيرا .

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء

الرياض : مكتبة المدينة ـ ص‌ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص‌ب ٢٢

جده : مكتبة الصلاح العالمية ـ عمارة البنك الاهلى ص‌ب ٦٣٥

بغداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص‌ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد

المكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحدودة

دبى : ساحل عمان ـ ص‌ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

السودان : ـ الخرطوم ـ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤

بور سودان : السيد عطا المنان . مكتبة كردى ص‌ب : ٣٠٣

مراكش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى

ليبيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



جامع بيت لحم وأمامه كنيسة المهدفي يد أعداء الله ..

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية – الكو